

روايات مصراة اللحيث



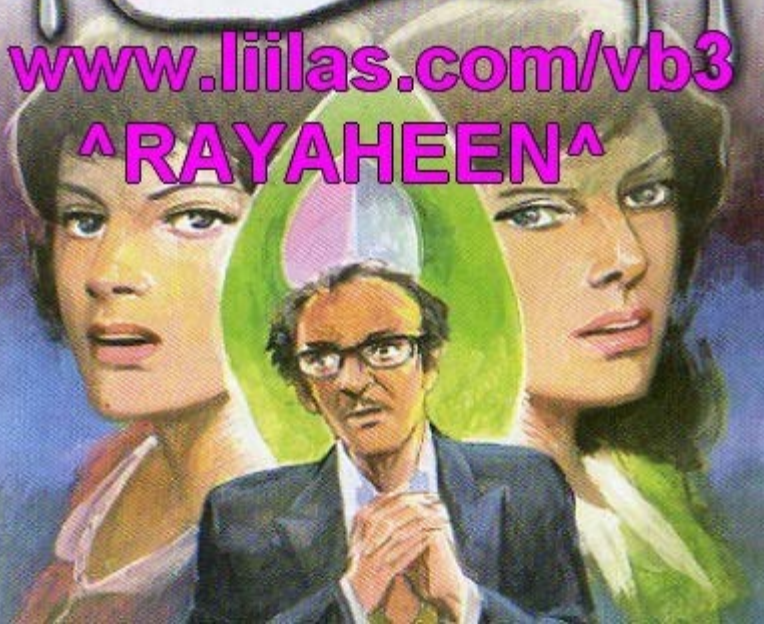
أسطورة

38

ما وراء الطبيعة  
النصف الآخر

[www.liilas.com/vb3](http://www.liilas.com/vb3)

^ RAYAHEEN ^



## ما وراء الطبيعة

روايات تحسيس الأنفاس  
من طرف القمصان والربيع والآبار

## روايات مصرية الحديث

### أسطورة النصف الآخر

ثمة أسرار كثيرة وعلامات  
استفهام لا حصر لها تحيط  
بالتوائم .. وفي هذه القصة يقابل  
د. (رفعت إسماعيل) للمرة الأولى ظاهرة  
غريبة بعض الشيء .. إن للتوأمين  
(نجلاء) و (ناهد) سرًا صغيرًا ..  
وهذا السر لا يمكن إذاعته هنا  
على الغلاف الأخير ،  
وإلا ماعاد سرًا ..!



د. احمد خالد توفيق



[www.liilas.com/vb3](http://www.liilas.com/vb3)

القادم :  
رواية التوأمين

RAYAHEEN

## مقدمة

ها نحن أولاء نلتقى من جديد ، ولكن مع شيء من الغرابة .. لقد تحدثنا فى القصص السابقة عن كل الأشياء الكريهة على غرار ( هو ) - الذى يمشى فى الظلال - والدمى المسحورة اللعينة ، وفصائل الفازيين التى لا ترضى بأن تموت بسهولة ، وكل الهراء من هذا النوع ..

حسن .. يبدو أن الوقت قد حان لتحدث عن أشياء غريبة .. هناك أشياء كريهة وأشياء رهيبة وأشياء خارقة للعادة وأشياء غريبة ، وقد اخترت اليوم القائمة الأخيرة ..

أغلقوا باب السرداب وتأكدوا من أن الأشباح لن تغادره .. أغلقوا المزلاج بإحكام وتعالوا هاهنا .. تعالوا إلى العجوز ( رفعت إسماعيل ) ، أستاذ أمراض الدم المتقاعد وهاوى الأشباح الذى أرغمه كل شيء على هذه الهواية ..

هل ستقرءون هذه القصة فى الشتاء ؟ إذن

**الفصل الأول :** لأهمية له سوى الحشو  
ويمكن لسريعي الملل أن  
يبدءوا بالفصل الثاني

قالت ( نجلاء ) :

- « الواقع يا د . ( رفعت ) أن ما أشعر به لا يتجاوز  
مجموعة من الخواطر واللمحات والانتباعات التي قد  
تكون حقيقة ، وقد تكون وليدة خيال امرأة لم يتعلم  
قط كيف يهدم أو ينام ..

« إن لكل قصة بداية .. ومن الخطأ أن نقلب  
الغلاف الأخير كي نعرف النهاية لأن مبرر وجود  
القصة يتلشى بهذه الطريقة .. وبدايتي كما تعلم  
كانت في ( القاهرة ) .. في ( شبرا ) بالتحديد .. »

« إن أبي موظف بسيط من تلك الطبقة التي  
نعتبرها ( مستورة ) .. فهو لم يرنا مذاق الثراء لكنه  
- أيضاً - حماتا من لدغة الجوع ، وكان أباً من  
الطراز الذي يمكن أن تضعه في القاموس ، وجواره  
سهم يشير إليه مصحوباً بكلمة ( أب ) .. هل تعرف

أضرموا النيران في الموقد - المدفأة - الزاوية  
وانكمشوا جيداً لتنعموا بالدفع ..  
هل ستقرءونها صيفاً ؟ إن أغلقوا النوافذ  
بإحكام .. إن شخصاً حياً يغمره العرق لخير من جثة  
باردة ..

والآن هل استعددت تماماً ؟

أرجو ألا ينهض أحدكم فجأة ليشرب كوباً من  
الماء أو .. أو .. لأن هذا يقطع حبال أفكارى كما  
تعلمون ..

سأحكي لكم حكاية النصف الآخر ..

\*\*\*

جيل الآباء ذوى الشارب الكثر والبطن الكبير . الذين  
يعودون للدار ظهراً حاملين الجريدة والبطيخة ،  
والعرق يسيل على صلعتهم ؟

وتكون أمى - الريفية البارة - قد أعدت طعام  
الغداء ، فيلبس جلبابه ويصلى الظهر ثم نحتشد حول  
الطبلية .. كنا من الطبقة التى تملك مائدة طعام ،  
لكنها تفضل الأكل على الطبلية . ولم تكن مائدة  
الطعام تستخدم سوى للاستذكار .. هل تعرف هذه  
الطبقة ؟ حسن !

بعد هذا يجلس أبى فى الشرفة مستمتعاً بفرد  
ساقيه على البلاط البارد ، وتأتى أمى بصينية بها  
البطيخة مقطعة ، فيبدأ فى التهامها ولا ينسى أن  
يحفظ بالبذور السوداء ، فهى تتيح لهما ساعات متعة  
لا بأس بها فى أمسية صيف أخرى ..

« بعد هذا يتجشأ مرة أو مرتين ، ويعلم أن ميعاد  
النوم قد حان .. كنا فى ذلك الزمن السعيد حين كان  
الناس ينامون عصراً ، ولا ينزلون إلى الشارع بحثاً  
عن عمل جديد لزيادة الدخل .. »

« وهكذا .. يجرع جرعتين من القلة الموضوعية

على السور ، والتى نقعنا فى الماء المحيط بها بذور  
المشمش لتلين ، ثم يعلن من جديد أن وقت القيلولة  
قد حان .. صحيح أنى و (تاهد) لا نرغب فى النوم ..  
صحيح أننا مليونتان بالطاقة راغبتان فى مزيد من  
اللهو ، لكن كلمة أبى هى حكم لا يرد .. »

انتهيت من رشف قح القهوة ، وبحرص وضعته  
على الزجاج .. ثم سألتها وأنا أعود إلى استرخاء  
جنسى :

- « (نجلأ) .. حين جئت هاهنا كنت أحسب أنك  
تأخرين لى ما هو أكثر من انطباعاتك عن طفولتك .. »  
بدورها جرعت من مشروب المياه الغازية ..  
ولاحظت أنها تجرع جرعات أكبر مما ينبغى لفتاة ..  
لا بد أنها ستجشأ الآن ..

بالفعل تجشأت ، لكن داخل فمها المغلق ، فانتفخ  
خذاها للحظة .. ثم قالت :

- « إبنى سمعتهن يقلن ما هو أكثر وأطول فى  
برنامجك ( بعد منتصف الليل ) ، ولم تعترض وقتها ..  
بل قلت إن كل هذا يضعك فى الجو .. »

بحثت عن رد يفسر هذا التناقض ويحرجها ، فلم

أجد .. لذا أثرت الصمت ، وأشرت لها كي تستمر في  
قصتها ..

قالت :

- « بعد هذا التحقنا بالمدرسة .. وكنا .. »

\*\*\*

وكعادتي قمت بضبط ساعتى على ردود فعل  
منتظمة كلما مضت دقيقة أو دقيقتان .. على غرار  
( م م ؟ ) .. ( م م م ؟ ) .. ( آه ! ) ( هم ؟ ) ..  
( هاها ) .. مما يوحى لها بأننى أتابعها بدقة ..  
وشرد ذهنى ..

بدا الأمر بمكالمة هاتفية من د. ( محمد شاهين ) ..  
هل تذكرون أستاذ ( الأثروبولوجى ) طبيب القلب الذى  
عرفته بسبب سوء فهم قاتل فى قصة ( أكل البشر ) ؟  
لقد كدت أضربه وقتها . ثم انعقدت بيننا صداقة  
حميمة إلى حد ما .. فنحن فى عالم لا يحوى أنصاف  
الحلول .. إما أن تكون ظالماً أو مظلوماً ، سارقاً أو  
مسروقاً ، خادعاً أو مخدوعاً .. لهذا وجدت أننى أميل  
إليه لأنه - ( محمد شاهين ) - مظلوم مخدوع  
مسروق دائماً ..

أعرف أن الشخصية القويمة هى التى لا تظلم  
ولا تظلم .. لا تخدع ولا تُخدع .. لا تسرق ولا تُسرق ..

لكن أين هذه الشخصية اليوم ؟

لهذا وجدت أننى أميل إلى صداقة العصفور وليس  
الأفعى ..

تلقيت منه مكالمة هاتفية ، قال فيها إنه بحاجة إلى  
مشورتى ..

- « لماذا يا أبا حميد ؟ »

- « إن الأمر يتعلق بابنة أختى .. ( نجلاء ) .. »

وكنت أعرف أن له أختاً جاءت من قريته مباشرة  
إلى بيت زوجها فى ( شبرا ) .. وهى فلاحه طيبة  
باسلة لا تعرف شيئاً عن أى شيء ولا يهمها  
معرفة ..

- « خيراً ؟ هل هى مصابة بسرطان الدم ؟ »

ثم اعتذرت عن هذه الغلظة فى التعبير .. فلماذا  
يطلب أحدهم رأى طبيب أمراض دم إذن ؟ ثم اتضح  
لنى أن الفتاة تريد الجانب الآخر من شخصيتى : صائد  
الأشباح الهاوى ..

وعرفت أن ( نجلاء ) فى الثالثة والعشرين من

عمرها .. غير متزوجة .. تخرجت في كلية الحقوق .. تتدرب في مكتب محام شهير بلا أجر .. وظروفها المادية لا تفوق ظروف أية فتاة أخرى في ظروفها !

قال لي ( محمد شاهين ) :

« إن ( نجلاء ) تعاني مشكلة معينة .. ولن أستطيع الكلام أكثر في الهاتف لكننا بحاجة إلى معرفة رأيك .. هل الأمر يقع في دائرة الخوارق .. أم في دائرة الأمراض النفسية ؟ »

ابتسمت وقت متخيراً ألفاظي :

« لا بد أن ( الحاجة ) أختك قد قامت بعمل اللازم في هذا الصدد .. ولا بد أن شيوفاً كثيرين من طراز ( الهدهد المصاب بالبواسير ) قد رأوا الفتاة .. ضحك طويلاً في سماعه الهاتف ، ثم قال :

« أنت محق في استنتاجاتك كالعادة .. لكنهم جميعاً فشلوا حتى إن أختي صارت - مع كثير من الامتعاض - على استعداد لسماع رأي أمثالك .. »

« إن هذا يملؤني قلقاً .. لكنني بحاجة لأن أرى الفتاة .. »

« هل أنت في القسم غذا ؟ »

« نعم .. وليكن هذا في الحادية عشرة صباحاً .. »

بعد قليل من الصمت ، سألتني في توجس :

« أ .. ( رفعت ) هل سرطان الدم احتمال وارد

حقاً ؟ ! »

هنا صعد الدم إلى رأسي ، ووضعت سماعة الهاتف حتى لا انفجر في وجهه .. إن هذا الرجل لن يكف عن السذاجة .. كأنها واحب مقدس !

\*\*\*

وطبعاً - لكم أن تراهنوا على ذلك - كنت قد نسيت كل شيء عن الموضوع في الموعد المحدد .. إلى أن افتتح باب مكتبي ليدخل ( محمد شاهين ) بوجهه المبتل عرقاً ، ويلثمني مائة مرة على خدي .. ثم يلتقط أنفاسه وقد كاد يصاب بنوبة قلبية ، ثم قدمني إلى ( نجلاء ) ..

وكنت قد كونت فكرة مسبقة - لم تخطن كثيراً - عن مظهرها ، فـ ( محمد شاهين ) لا يمكن اتهامه بالجمال ، وكذلك أخته بالتأكيد ..

إذن لن تكون ( نجلاء ) بارعة الحسن أبداً ما لم يكن أبوها في جمال أبطال الأساطير الإغريقية ..

عند انصرافه لولا أنني ( شخطت ) فيه .. لا أحب  
التذاكى ولا المتذاكين أبداً ..

عدت أسألها عن قصتها ، وأنا أرجو أن ينتهى هذا  
الهراء سريعاً ..

قالت وهى تتحسس زجاج مشروبها البارد فى  
شروء :

- « د . ( رفعت ) .. هناك من يتألم ويفرح ويحلم  
بدلاً منى ! »

\* \* \*

www.liilas.com

وكانت ( نجلاء ) متوسطة الجمال حقاً ، لكن لها  
ذلك الوجه المريح الذى يبعث فى نفسك الشعور بأنك  
تعرفها من قبل ، مع مسحة الاحترام والوقار النفسى  
مما يشى بأصل طيب .. ( بنت ناس ) حقيقية رباها  
آلها جيداً ..

دعوتها للجلوس ، وطلبت العامل كى يحضر  
زجاجة مياه غازية وقدحى قهه .....

- « بل قدح واحد يا ( رفعت ) .. فأنا سأصرف  
لأن عندى محاضرة .. ثم إن انصرافى سيتيح لها  
حرية الكلام .. »

- « كما تحب .. »

وسرنى التخلص منه لأنه سيزيد الأمور سوءاً ،  
ولن يترك لها الفرصة كى تقول كلمة مفهومة  
واحدة ..

بعد هنيهة صمت سألتها كى لا تنهمك فى التحديق  
فى البساط إلى حد إحداث ثقب به :

- « يمكنك الكلام إذن .. »

هنا جلب لنا العامل ما طلبنا ، ورمى الفتاة بنظرة  
خبیثة كأنه قد فهم كل شىء ، وكاد يغلق الباب علينا



## الفصل الثاني: لا أهمية له سوى التطويل

ويمكن لسريعي الملل

البدء بالفصل الثالث

« فليكن ذكراً يا رباً .. ثم ليكن ما يكون بعدها »  
لا بد أن عبارة كهذه كانت تتردد في ذهن الأستاذ  
( عبد الجواد ) ، وهو ينتظر قلقاً في الصالة خارج  
غرفة النوم ، لغافة التبغ توشك على أن تحرق أنامله ،  
بينما الصرخة الطويلة المعذبة تدوى من وراء الباب  
المغلق .. والداية ( أم أيمن ) تصاحب هذا بايقاعها  
الخاص ( يا لله ! خليكى تخلصى ! ) .. فتزداد  
الصرخات شراسة ، ويضع د. ( محمد شاهين )  
شقيق زوجته كفه على معصمه يدعو للهدوء ..  
الصالة كنيبة ضيقة ، تنتثر الأطباق على مائدة  
الطعام .. فقد باغتت الأم الولادة الأم وهي تلتهم  
عشاءها ، وكاتا في ذلك الزمن حريصين على تناول  
العشاء على المائدة ، قبل أن يصنع له الأسطى ( طه )  
تلك الطبلية العتيقة التي صارت ملتقى الأسرة .. في  
كل ركن من الصالة تجد منشفة ملقاة ، أو سروال

مقامة خلعه وهو يرتدى ثيابه على عجل ، أو خرقة

لا تدرى دورها بالضبط لكنها هناك ..

من المطبخ تهرع ( أم بلبل ) حاملة وعاء الماء

الساخن ، متجهة إلى غرفة النوم .. لا ولادة دون

ماء ساخن كما أنه لا حافلة دون نشال .. ويستمر

الصراخ .. ثم يدوى صوت عواء المخلوق الصغير

الذى - لأول مرة من تسعة أشهر - يُطرد من دفء

الرحم وظلامه المريح للأعصاب ..

وتخرج الداية بوجه مكفهر بعض الشيء لتصارح

الأب بأنه رزق بطفلة حسناء .. لا .. بل بطفلتين !

لقد كانت المرأة حاملاً في ثوعمين ..

إن الأمور تسير هكذا دوماً .. أكثر الرجال ولعا

واشتياًقاً لإجاب الذكور يلقون عقابهم فوراً .. لكن

( عبد الجواد ) كان في حالة تفكك نفسى وجسدى

كامل ، فلم يجد في روحه ما يسمح بالشعور بخيبة

الأمل ، بل وجد الدموع ولا شيء سواها ..

طفلتان ! مصيبتان على الأرجح ، لكنه سيجد

الوقت الكافى للأسى فيما بعد ، أما الآن فالمهم

الاطمئنان على البائسة الغالية ..

وكانت المرأة بخير ، وقد راحت ( أم لبليل ) تتردد عبارات التهنئة الممزوجة بالعزاء ، وتعليه قائمة لا بأس بها بلوازم المولودتين .. كان هذا عصرًا لا يعيش الطفل فيه ما لم يشرب المحيطون به ( المغات ) .. ولا تعيش النفساء ما لم تلتهم ثلاث دجاجات يوميًا ..

وكان ( عبد الجواد ) يعرف كل هذا ، وقد أعد كل شيء للحصول على نصيبه في الجمعية التي نسقها مع زملائه في العمل ، ويتقاضاه في هذا الشهر بالذات .. إن أربعين جنيهاً لمبلغ فادح حقاً يسمح بشراء كل ما يحتاج إليه الموقف ..

وتسأله الداية عن الاسم الذي سيختاره للتوعمتين ، فيقول دون استشارة الزوجة ( وهذا شيء طبيعي .. إنه هو الأب فما دخل الأم في الموضوع ؟ ) :

- « سيكون اسم واحدة (نجلاء) والأخرى (ناهد)..

ولكن كيف أميز بينهما ؟ »

لكن حين رأى الرضيعتين أدرك أن سؤاله لا مجال له ها هنا ، فالتوعمتان غير متشابهتين .. وكانت واحدة منهما تملك وحة كبيرة في فخذها ، ولها

رأس مستطيل غريب الشكل .. أما الأخرى فكانت حسناء لو أمكننا قول هذا عن رضيع ملوث بالدم ، ما زال وجهه مجعدًا كقرد صغير ..

ذات الرأس المستطيل ستحمل اسم ( نجلاء ) .. أما الأخرى فستحمل اسم ( ناهد ) .. لم يكن ضليعًا في اللغة العربية ، لذا افترض أن اسم ( ناهد ) يوحى بجمال أكثر مما لاسم ( نجلاء ) .. ثم إن تماثل حرفي ( النون ) بدا له موسيقيًا إلى حد لا يوصف ..

وراح يلوك الاسم بين شفتيه كمن يتلمظ :

- « ( ناهد عبد الجواد ) .. ( نجلاء عبد الجواد ) ..

لا بأس .. لا بأس على الإطلاق ! »

\* \* \*

وواءء ! ووواءء !

وحتى في ساعات الفجر الأولى ..

\* \* \*

تقول ( نجلاء ) :

- « لم تلحظ واحدة منا شيئًا غير معتاد في

حياتها .. »

لقد كبرنا كأى توعمين آخرين .. ولم يكن

بيننا تشابه لهذا نجونا من الملحوظات السخيفة  
المعهودة لدى الكبار ، ولم تحتر المعلمات بشأننا ،  
ولم تحاول أُمى أن تميزنا بعلامة ما ..

وكما هى العادة ، تشابهنا فى بعض الصفات ..  
لكن اختلافنا كان أشد ، وهذا طبيعى لإظهار التضاد  
بيننا .. إن اللون الأسود لا يصير أسود إلا لأن هناك  
أبيض .. والسماء ليست سماء إلا لأن تحتها أرضاً ..  
هذا طبيعى ..

من البداية بدا للقوم أننى اتخذت نموذج الفتاة  
الذكية اللامعة المنكبة على دروسها ، لكنها متوسطة  
الجمال منطرفة تماماً اجتماعياً ، وبكثير من العسر  
يمكنها أن تنطق ثلاث كلمات ذات معنى ..  
أما ( ناهد ) فاتخذت نموذج الحساء العابثة خالية  
الرأس ، التى تعيش أتعب لحظات حياتها أمام الكتاب ،  
وتلقى - برغم هذا - كل تدليل المعلمات .. إن  
المعلمات يتصرفن بطريقة مختلفة مع الطالبة الجميلة  
مهما بلغ غباؤها ، ومهما بلغ حبهن للعدل ..

وهكذا .. كنت أحظى أنا بالتشجيع الدراسى بينما  
تحظى هى بكل شيء آخر .. وفى المنزل كان لها



أما (ناهد) فاتخذت نموذج الحساء العابثة خالية الرأس ، التى  
تعيش أتعب لحظات حياتها أمام الكتاب ..

مكان خاص ومنزلة متميزة لدى أبى .. وكان يقول لها فى غضب مصطنع :

« ليت لك ربيع عقل أحتك ومثابرتها .. »

لكن وجهه كان يقول العكس .. كان يقول إنه حقاً ليس غاضباً تماماً كما يدعى .. كان يقول إنه - كأكثر الرجال - لا يؤمن بأهمية عقل المرأة .. المهم هو وجهها .. وفى هذا الصدد نالت ( ناهد ) درجة الامتياز أما أنا فنجحت بصعوبة ..

وأحصل على درجة ٩٧ بالمائة فى الشهادة الابتدائية ، بينما تحصل هى على ٧٦ بالمائة ..

تزرعد أسمى وتوزع أكواب ( السوبيا ) الباردة على الجيران ، وتقول كأنما تمدحنى :

« إن ( نجلاء ) تملك عقل رجل ! »

فتقول الجارات الشمطوات :

« و ( ناهد ) تملك وجه امرأة .. ثم إنها لم ترسب .. لقد نجحت نجاحاً لا بأس به أبداً ! »

كنا طفلتين بينما هذه المشاعر تمزق روحى ..

الآن دخلنا مرحلة المراهقة ، فكيف بذات المشاعر

إنن ؟

كلا يا د . ( رفعت ) .. لا تظلمنى .. أنا لم أحسد أختى ولم أتمن قط أن يحترق وجهها بالحمض مثلاً .. كما لم أتمن أن يكون لى وجهها .. كل ما هناك هو أننى شعرت بنفاق وغباء هذا المجتمع الذى يحكم على الناس بمجرد النظر لوجوههم .. يمكنك - وأنت لست جميلاً يا د . ( رفعت ) - أن تبرع فى عملك ، وأن تكون طاهراً سامياً ذكياً ، وأن تضحك للجميع وتغسل وجهك كل صباح ، لكنهم - صدقى - لن يضعوك أبداً فى مكانة د . ( رافت ) زميلك هاهنا .. و ( رافت ) هذا لا يملك أية موهبة سوى ملاحظة قد لا يستحقها ..

\*\*\*

كانت ( ناهد ) حمقاء ، وحسبت أن مهمتها الوحيدة فى الكون هى استعراض جمالها الفاتن .. أما أنا فكنت كالقطار السريع لا أعرف لى طريقاً خارج القضيب الحديدى الواصل بين بيتى والمدرسة ، أقطعه فى دقائق وأنا أنظر إلى قدمى ، فلو استبدلوا بحراً بشوارع ( شبرا ) لما لاحظت ذلك ، لكن ( ناهد ) كانت ستلاحظ حتماً ..

وفى المنزل بات واضحا أن (ناهد) ستتزوج قبلى ..  
فى الغالب بعد انتهاء دراستها الثانوية ، لأنها ليست  
من الطراز المناسب للتعليم .. ثم إن الخطاب بدعوا  
يفدون إلى دارنا وهى بعد فى السنة الأولى من  
المدرسة الثانوية !

وهو حدث جلى كقيل بجعل صاحبتة منكة متوجة  
فى المدرسة الثانوية ، حيث لا كلام لدى البنات  
المفعمات بالأحلام إلا عن هذا اللغز الأسطورى  
الرهيب : العريس ..

وفى الصف كانت (ناهد) قد أنشأت لنفسها  
عصابة صغيرة ، من الفتيات المدركات لجمالهن ،  
وكن يجلسن فى نهاية الفضل يمارسن حيلاً صغيرة  
على المدرسين ، أو يمزحن بصوت خافت ولا يتابعن  
حرفاً مما يقال ..

أما أنا فكنت أجلس فى موضع متقدم .. وأثبتت  
ذاتى بأن أكون أفضل وأذكى ، ولا أترك سؤالاً يلقى  
المعلم إلا أجبتة .. عندها كان ينظر للصف الخلقى  
ويقول فى تهكم :

- « ليت لك ربيع عقل أختك يا (ناهد) .. »

فيجىء صوتها الضاحك من خلفى :

- « لقد اختارت هى العقل واخترت أنا الجمال .  
ولم يعد بوسع واحدة منا أن تتراجع ! »  
فيهز المعلم رأسه .. إنه يخجل طبعاً من أن يعترف  
بصحة هذا .. لكنه يرى ويعرف جيداً .. لقد  
تقاسمنا كل شىء كما تقول (ناهد) ولا يوجد  
تفسير آخر ..

\* \* \*

لكننا لم نتشاجر قط ، ولم نكن قطاً وفاراً كما  
تتصور ..

كنا شقيقتين .. صحيح أننى كنت أملك صديقاتى  
وكانت هى تملك صديقاتها ، وكان لى عالمى وكان  
لها عالمها .. لكننا - فى موعد الانصراف - كنا  
ننصرف معاً ، لنبداً الجزء الثانى من يومنا ..  
خالياً من الضغائن لكنه - كذلك - خال من المودة  
الحارة .. إن السلام لا يعنى الحب دائماً .. قد يعنى  
( عدم الحرب ) كذلك ، وكان هذا هو السلام السائد  
بيننا ..

ثم دارت الأيام - التعبير المبتذل القديم - حاملة لنا

بعض المسرات المحدودة كأخ ذكر جاء على غير موعد ، وبعد أعوام طويلة من عدم الإجاب .. أى أتنى أكبر هذا الأخ بخمسة عشر عاماً أو أكثر قليلاً ، وكانت هناك بعض الأحزان التى لا تخلو منها حياة أية أسرة كوفاة عمى ، وإصابة أبى بنوية قلبية شفى منها لكنه لم يعد قط كما كان .. وكانت فكرة طفله الصغير جداً الذى يوشك أبوه على الرحيل تـؤرق أبى كثيراً ..

- « أولاد الشَّيب يتامى ! »

هكذا كان يردد دائماً وهو يرمى الصغير يقرقر ضحكاً ، أو يهرول فى الصلاة بمشيئته الحديثة المضحكة المترنحة ..

والآن انتهت دراستنا الثانوية ، ولم يكن ما حققته فيها يماثل ما اتعقد على من أحلام .. ربما كان اضطراب حالتى النفسية أو اضطراب الظروف هو السبب .. كنت أتمنى أن أكون مهندسة لكن لم تبق لى سوى كلية الحقوق ، وشتان بين أن تدخلها لأنك تحب القاتون وأن تدخلها لأنه لا يوجد سواها ..

أما عن ( ناهد ) فمن الطبيعى أنها رسبت .. كنا كنا نعرف ذلك وننتظره كى تبدأ الجزء الثانى من حياتها ..

- « إن ( ناهد ) لا تصلح لتلقى العلم .. دعونا نزوجها إذن »

قالها أبى كأنما يضيف جديداً ، وكأن هذا لم يكن مخطط حياة ( ناهد ) منذ كانت فى السادسة من عمرها ..

ويفتح الباب ليدخل ( محمود شهاب ) .. مهندس فى الثلاثين من عمره .. له ملامح ( رشدى أباطة ) لو أن هذا الأخير كان أحول العينين قليلاً ، ولم يكن من هذا الطراز الحديث الباحث عن عقل المرأة ، أو المؤمن بدور المرأة فى المجتمع .. كان يريد زوجة تسر عينيه وكفى .. والحق أنه كان أحمق .. إن ( ناهد ) لا تصلح زوجة على الإطلاق .. إنها لوحة جميلة يعلقها فى غرفة الصالون لا أكثر ، وعليه بعد هذا أن يبحث عن زوجة حقيقية !

لكن ( محمود ) تزوج ( ناهد ) .. وكان بيتهما السعيد فى ( حلوان ) ، مما جعلهما بعيدين

عنا حقاً ، وكانت حياتهما هائلة على الأقل في  
بدايتها .. لم يكن شيء غريب في كل هذا .. لأن  
القصة لم تبدأ بعد .

★ ★ ★

**الفصل الثالث :** لا أهمية له سوى التطويل  
ويمكن لسريعي الملل  
البدء بالفصل الرابع

قلت لـ ( نجلاء ) :

- « كل هذا جميل ويسرني سماعه ، لكنى مازلت  
بانتظار لحظة ظهور مصاص الدماء ، أو انفتاح قبر  
عمتك لتخرج منه جثتها المتأكلة جاحظة العينين ..  
لقد اعتدت سماع ورؤية هذه الأشياء ، وإنه ليثير  
قنوطى أن ..... »

- « سيخيب أمك إذن ! »

قالتها وهى تضع زجاجة المياه الغازية على  
الزجاج ، وتتجشأ مرة أخرى بطريقها المكتومة التى  
تكور خديها ، وأردفت :

- « لن تجد شيئاً من هذا فى قصتى .. إننى  
أتحدث عن .. عن أطيايف المشاعر ! »

أطيايف المشاعر ! إنها الثانية عشرة ظهراً وأنا  
مرهق جائع ثم تجيء هذه لتحدثنى عن أطيايف

المشاعر .. ساعة كاملة ولما يبذ نقصتها رأس  
ولا ذيل .. إنها - ببساطة - تريد أن تشتم أختها  
الحسنة ( ناهد ) وأن أوافقها على ذلك وإلا كنت  
وحشاً جاهلاً ..

أمرى لله .. أكملنى يا ( نجلاء ) هاتم ..

★ ★ ★

قالت ( نجلاء ) :

- « وفى يوم كنت عائدة من الكلية بأسلوب  
القاطرة الشهير المأثور عنى .. ذات المشية التى كنت  
أمشيها وأنا فى المدرسة الابتدائية ، ولا فارق سوى  
أننى تعلمت ركوب الحافلات المزدحمة والثوب فى  
أثناء سيرها ، واحتضان حقيبتى كى لا يبدس أحدهم  
يده فيها ..

كنت أعبر الميدان المزدحم أمام الجامعة حين  
حين ماذا ؟

لا أرى بالضبط .. يبدو أننى طرت فى الهواء وأنا  
أسمع صوت فرامل حادة عنيفة مولولة ، ثم سقطت  
كجوال القطن على الأسفلت .. ولم أصدق أننى أستحق  
كل هذه الضوضاء ، وأن هذا يحدث لى أنا بالذات ..

كنت خجولاً أمقت لغت الأظفار ، حتى لو كان هذا  
بسبب حادث سيارة ، لهذا سارعت بالنهوض الملم  
ثوبى وأفتش عن حذائى الذى طار فى مكان ما ،  
ورأيت صاحب السيارة يصيح مغضباً :

- « حمقاء ! ألا تفتحين عينيك أبداً ؟ »

لم أرد لكن المحتشدين المتحمسين قاموا باللازم ،  
وسرعان ما ابتعدت عنهم فى توتر كأذى حيوان  
غريب برى .. لست من الطراز الذى يقف ليولول فى  
هستيريا أو يلوم السائق .. إننى حية وكل أطرافى  
تتحرك .. فلا داعى لمزيد من الضوضاء أرجوكم ..  
وهرعت أتوارى باحثة عن الحافلة التى ستعيدنى  
إلى البيت ..

فقط حين ابتعدت ، أدركت أن كل عظامى تؤلمنى ،  
وحين عدت للدار لم أخبر أحداً بما حدث ؛ لكنى -  
أمام المرأة - رأيت الكدمات فى كل صوب .. حقاً لقد  
كانت صدمة قوية ..

نمت كالقتلى حتى منتصف الليل ، ثم أيقظتنى أمى  
حاملة صحفة عليها طعام العشاء وكوب لبن ، ولثمت  
جبينى وقد شعرت بأن مرضاً ما قد بدأ يغزو جسدى ،



وكل الأمهات - كما تعلم - يعتقدن أن كل الأمراض تبدأ وتنتهي بالبرد .. لماذا أصر على ارتداء هذا الـ ( بول - أوفر ) الخفيف بينما أضطر للخروج في السابعة صباحاً كي أتحق بالكلية ؟

قالت لى كذلك إن ( ناهد ) وزوجها كانا فى زيارتنا الليلية ، وإن ( ناهد ) كانت مريضة بدورها وكان كل عظمة من عظامها قد تم تهشيمها بيد الهاون .. وقد رفض الزوجان أن يوظفانى ..

ثم أعربت عن حناتها الأموى قائلة :

- « ألا ليت مصيبة تأخذكما معاً لأستريح من قلقى

عليكما ! »

وضربت كتفى فى غل ثم تمننت لى ليلة طيبة .. والاستذكار ؟ فليذهب إلى الجحيم .. صحتك أهم من أى شيء ..

وأطقات النور ..

\*\*\*

فى الأيام التالية ياد ( رفعت ) لم ألاحظ شيئاً غير طبيعى .. إن الآلام تكثرت لنا جميعاً وأكثرها بلا تفسير ..

كم مرة شعرت فيها بألم فى كاحلك ، أو وخزة فى صدرك ، أو رأيت كدمة لا تفسير لها على ذراعك ؟ كم مرة شعرت فيها بصداق لا تفسير له ؟ كلها أشياء تحدث ولا تستحق التعليق ..

فى نهاية الأسبوع قمت مع أبى بزيارة ( ناهد ) فى دارها فى ( حلوان ) .. إنها رحلة شاقّة حقاً ، لهذا لا نقوم بها إلا مرة فى الشهر ، ولم تكن حياة ( ناهد ) ذات منغصات خاصة أكثر من أية حياة زوجية أخرى ..

كانت ( ناهد ) مدلة لم تتحمل مسئولية قط ، ولم تعد كوب شاي لنفسها ، ثم أدركت الحقيقة المريعة : إنها لن تظل أميرة للأبد .. إن زوجها المهندس المكافح يحتاج إلى ربة بيت كذلك !

كانت لديها طفلة صغيرة فى العاشرة من عمرها تعينها إلى حد ما ، وهى خادمة من قرية أمى .. لكن ماذا بوسع طفلة أن تفعل أمام هذا الكم المريع من المهام ؟ الغسيل .. الطهى .. الكى .. التنظيف .. ووسط هذا كانت ( ناهد ) تحاول أن تقنع نفسها أنها سعيدة .. لكن خيبة الأمل كانت جلية على وجهها ، وللمرة الأولى فى حياتى شعرت بأنها تحسدنى !



في اللحظة التالية شعرت بقوة هائلة ترجني رجاً من الداخل ..  
يد عملاق تعنصر قلبي وتحاول اقتلاعه مني أو اقتلاعي منه ..

جلس أبي مع ( محمود ) في الصالة يثرثران ،  
ويقرران سياسة الدولة وهل ينبغي على (عبد الناصر)  
أن يوقف حرب الاستنزاف أم لا ، بينما رحت أساعد  
( ناهد ) في الغسيل .. لقد ابتاع لها ( محمود )  
غسالة ثياب كهربائية من ذلك الطراز الرهيب الذي لم  
يكن هناك سواه وقتها ..

وكانت ( ناهد ) واقفة عنى يسار الغسالة ، تمد  
يدها بالماسك الخشبي لتلتقط قطعة قماش طافية فوق  
سطح الماء ، لكنها تعثرت واضطرت إلى الاستناد إلى  
جسم الغسالة المعدني .. هنا يجب أن أقول إنها كانت  
حافية القدمين ، وإن سلكاً ما كان عارياً في هذا  
الجهاز الغير محكم الصنع .. و .....  
هىىىىىىىىى !

دوت صرختها المعذبة الشنيعة المليئة بالانتفاض  
والاهتراز ، ورأيتها تتصلب دون أن تتخلى عن  
تمسكها بالمعدن ، و .....  
في اللحظة التالية شعرت بقوة هائلة ترجني رجاً  
من الداخل .. يد عملاق تعنصر قلبي وتحاول اقتلاعه  
منى أو اقتلاعي منه ..

وصرخت بدورى ..

وفى غمرة الألم أدركت أن أرض الحمام المبتلة قد  
أغلقت الدائرة الكهربائية المارة بجسدنا .. وكنت  
حافية القدمين كذلك ..

إته .. إته الموءوءوء .. و .. و .. ت !

سريع التصرف كما يحدث فى السينما - ليس  
شبهها بـ ( رشدى أباطة ) لولا بعض الحول ؟ - اندفع  
( محمود ) إلى الحمام ليرى المشهد العجيب ..

ودون أن ينتظر ثانية لفهم وثب إلى لوحة  
( المنصهرات ) الكهربائية المجاورة للحمام ، فانتزع  
الأجسام الخزفية كلها وألقاها أرضا ، وانتزع التيار  
الكهربى عن المنزل ..

وفى اللحظة التالية سقطنا على الأرض معا  
كجنمودى صخر حطهما السيل من عل ، كما لا بد أن  
( امرؤ القيس ) كان سيصفنا .

بعد هذا كان المشهد التقليدى : أبى يدلك وجهى  
ويلدغه ، بينما ( محمود ) يسقى زوجته بعض الماء ..  
وكلانا - أنا وهى - على الأرض المبتلة باردتى  
الأطراف زرقاوى الشفاه ..

فيما بعد قال ( محمود ) فى عصبية :

- « من الحمق أن تمد المرأة يدها إلى جهاز  
كهربى ، وهى حافية القدمين فوق أرض مبتلة .. إن  
أى حمار جر يعرف هذا جيدا بالسليقة .. »

وقال أبى وهو يتحسس صدره فى قلق :

- « لقد كدت أفقدكما فى ثانية . لقد قدر الله  
ولطف بنا .. »

لكن ( محمود ) ظل يرمق أرض الحمام فى فضول ،  
ثم قال :

- « الغرب أن الماء لا يصل إلى حيث ( نجلاء ) ..  
وإبنى لأسائل نفسى عن سبب الـ ..... »

- « إتها الكهرباء ! »

قالها أبى كأنما هى إجابة تغنى عن أى شىء ..  
عاد ( محمود ) يقول :

- « لقد استكملت ( ناهد ) الدائرة الكهربائية حين  
لمست المعدن ، لكن ما الذى لمستته ( نجلاء ) ؟  
ما الذى استجد بالنسبة لها ؟ »  
قلت فى إتهاك :

- « حقاً لا أجد تفسيراً .. لعلى لامست جسم  
الغسالة دون أن لاحظ ذلك »  
من جديد قال أبى منهيّاً الكلام :  
- « إنها الكهرباء .. لا تسأل أبداً عن الكهرباء .. »  
لكن ( محمود ) غمغم للمرة الأخيرة وهو يرمق  
أرض الحمام :  
- « حقاً .. مازلت لا أفهم .. »  
لا أفهم ..

★ ★ ★

**الفصل الرابع :** لا أهمية له سوى الإطنا  
ويمكن لسريعى الملل أن  
يبدءوا بالفصل الخامس

قالت ( نجلاء ) :

- « مرض غريب بدأ ينتابنى فى الأشهر التالية ..  
وهو مرض غامض حقاً يغلب الظن أن كتب الطب لم  
تصفه .. »

سألها وقد بدأت القصة تثير شغفى :

- « صفى لى الأعراض . »

تهذبت وتحسست فرطها المتدلى ، وقالت :

- « دوار شديد .. كل شىء لا يثبت فى موضعه ..  
حياتى كلها حالة من لحظات ما بعد دوراتنا المستمر حول  
أفسنا فى الطفولة .. ثم القراء .. القراء عند الاستيقاظ  
من النوم ، وعند التفكير فى الأكل أو شم رائحته ..  
ثم ذلك الأشمناز غير العادى من اللحوم .. أمقت  
اللحم حتى لو كان صورة فى مجلة أو ذكرى ،  
وتتحرك العصارة الحمضية من معدتى متجهة لأعلى  
مهدة بالانفجار .. »

قلت أظمنها ، وأنا أنتقى كلماتي جيداً :

- « يا صغيرتي إن سرطان المعدة احتمال وارد ، لكن لا تدعي التفكير فيه يفسد حياتك ، ربما لا يكون الأمر سرطاناً برغم كل شيء ! »

ابتسمت ، وغمغمت :

- « حقاً يا د. ( رفعت ) .. إن كلماتك كالبلسم على روحي .. لم أفكر في هذا الموضوع قط .. وما هي الاحتمالات الأخرى ؟ »

ابتسمت كي أوحى لها بالهدوء ، وقلت في رقة :

- « إن القىء الصباحي يشير إلى الفشل الكلوي بشدة .. وهو - مع شحوب بشرتك - احتمال لا يمكن استبعاده .. لكن لا تدعيه يجعل حياتك جحيماً .. يمكننا إجراء اختبار معننى بسيط كي .....

ضحكت طويلاً فلم أفهم سبب ضحكتها .. ثم عادت تسألني في خبث :

- « لا احتمالات أخرى ؟ »

فكرت قليلاً .. ثم قلت في مثل :

- « الهستيريا طبعاً وهي واردة جداً .. خاصة بالنسبة للفتيات المحبطات عاطفياً - ولا أعنيك أنت

بالذات بهذا - وطبعاً هناك احتمال الحمل لكنه مستبعد هنا .. كلا .. لا تفكري في أورام المخ بتاتاً .. لا يوجد لديك صداع ولا ذلك القىء ( القاذف ) الخاص بأورام المخ .. لو كان ما لديك وربما بالمخ لكنت أنا حماراً .. »

عادت تضحك ، وقالت :

- « د. ( رفعت ) ! إنك تملأ حياتي حبوراً بكل هذه الاحتمالات البهيجة .. على كل حال لقد فشل كل الأطباء في معرفة مصدر الخطأ .. وشربت براميل كاملة من أدوية القرحة المعدية الشبيهة بالجير ، دون جدوى طبعاً .. لقد انتهت هذه الأعراض بعد ثلاثة أشهر ، والسبب في ذلك هو أنها قررت أن تنتهي ! »

فكرت في الأمر ملياً ، وكدت أعلق ثم أنشرت إليها كي تواصل قصتها ..

قالت وهي تحديق في البساط :

- « بعد ستة أشهر من هذا كانت أعراض ضيق التنفس ترهقني رهقاً شديداً .. كأن ثِقلاً يجثم على صدري مانعاً حجابي الحاجز من الحركة .. وفجأة

- « ثم فى تلك الليلة الرهيبة ، راح أعنف ألم  
بمزقتى .. ألم جعلنى أصرخ مراراً وأعض الوسادة  
وأبكى .. وقد راح أبى وأمى يحاولان جعلنى أهدأ ..  
سقتنى أمى بحاراً من ( الكراوية ) ، وهرع أبى يبحث  
عن جارنا فى الحى ( سيد ) وهو ممرض فى  
المستشفى العام .. »

« فيما بعد وصفت أمى صراخى وآلامى بأنه  
كصراخ وآلام من تلد .. وقد أثار هذا حيرتها ، فمن  
الواضح أننى لا ألد ، لكن هذا الصياح المألوف ..  
هذه الوثيرة الواحدة للآتين .. لحظات الاسترخاء بين  
ألم وآخر .. »

« وفى هذه اللحظات جاءت ( أم بلبل ) جارتنا ..  
لقد شاخت وصارت قنطاراً من الدهن لكنها تحاملت  
على نفسها لتبلغنا بالمكالمة الهاتفية التى وصلتها ،  
فهااتفها هو الهاتف الوحيد فى البداية .. كانت  
المكالمة تحمل أخباراً سارة : لقد أنجبت ( ناهد )  
طفلاً ! »

جلست على حافة مقعدى ، وقد بلغت بسى الإثارة  
مداها ، وصحت :

بدأت أعراض التنفس تزول لتبدأ أعراض المئانة :  
منات المرات أدخل دورة المياه ، وأنهار من البول  
لا تفسير لها سوى مرض البول السكرى .. »  
- « وطبعاً لم يتضح أنك مصابة به .. »

- « بالطبع .. لقد حار الأطباء فى تفسير كل هذا ،  
وحار الشيوخ مطلقوا البخور الذين استعانت بهم  
أمى .. إن أكثر هؤلاء نصابون على كل حال .. إن  
الشيخ ذا ( السر البائع ) حقاً لا يطلب عشرين جنيهاً  
ودجاجة أجراً له .. »

سألته وقد بدأت أفهم ما يحدث :  
- « وهل كنت تشعرين بحنين لشيء ما ؟ اشتياق  
لنوع معين من الطعام ؟ »

ابتسمت فى خبث ، وقالت :  
- « تسأل عن ( الوحم ) يا د . ( رفعت ) ؟ إننى  
عذراء لم يمسنى بشر قط .. »

- « إن قصتك كلها تفسرها لفظة واحدة :  
الحمل .. لكننى لن أقولها .. »

قالت وقد سرها أننى بدأت أفهم :

- « ( ناهد ) كانت حاملاً ! لم تقولى لى هذا ! »  
- « لأنك لم تسألنى ! » وهو حمل تأخر كثيراً على  
كل حال .. »

- « وكانت ولادتها فى الوقت ذاته ؟ »  
- « حقاً .. لقد كانت ولادة سريعة جداً وغير  
متوقعة بالنسبة لبكرية مثلها .. كنا نتنظر أن تلد بعد  
أسبوع ، ولم تكن ترتاب فى شىء حين أويانا للفراش  
ليلاً.. لو كانت أمى تعلم لظلت بجوارها فى (حلوان)..  
إن الأمهات من طراز أمى يكرهن أن يضيعن مناسبة  
كهذه .. »

قلت لها وأنا أنهض لأنزع الغرفة متوتراً :

- « وهكذا اتضح كل شىء لك .. »

- « طبعاً .. »

- « وهل يعلم أبواك هذا ؟ »

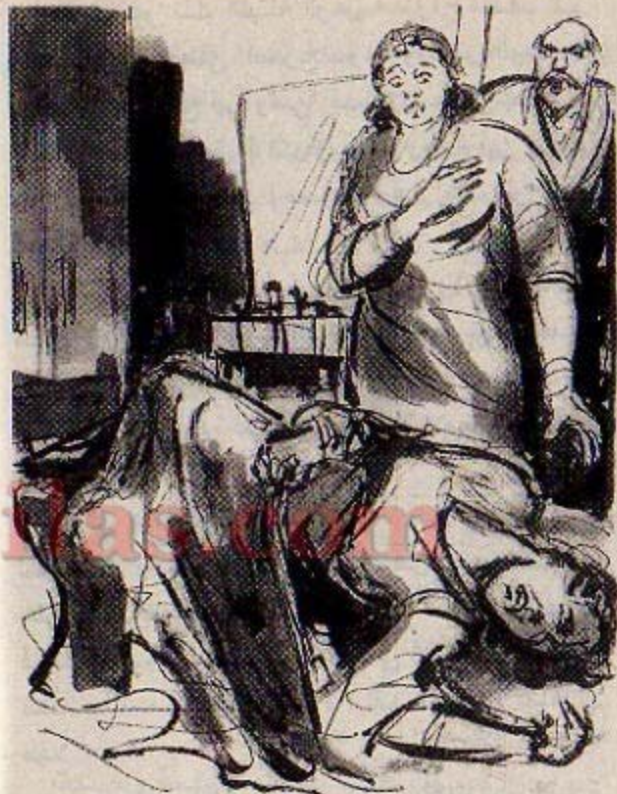
- « لا .. ولن يفهما لو أخبرتهما .. »

- « و ( ناهد ) تعلم ؟ »

- « طبعاً .. لقد أمكنها أن تتذكر منات التفاصيل

الصغيرة التى لم تدرك أهميتها وقتها .. »

- « وبالطبع تعلمين أعراض حملها بدقة ؟ »



« ثم فى تلك الليلة الرهيبة ، راح أعنف ألم يمزقتى .. ألم  
جعلنى أصرخ مراراً وأعض الوسادة وأبكى .. »

- « بالتأكيد .. لقد شعرت بكل ما وصفته لك .. »  
دستت يدي في جيبي ، ورحت أردد بلا كلل :  
- « غريب ! غريب ! »

★ ★ ★

قالت ( نجلاء ) :

- « حقاً .. كل هذا غريب .. لكن الأمر يبدو طبيعياً جداً حين تكون أنت صاحب هذه الأحاسيس .. ولا تكف عن التساؤل : ربما هو وهم .. ربما مصادفة .. ربما خيل إلى أنني أشعر بكل هذا .. لماذا ؟ لأن أشياء كهذه لا تحدث أبداً .. »

ابتسمت بدورى ، وجلست فى المقعد المواجه لها لأشعرها بنوع من الحميمية وقلت لها ( وإن كان أكثر الكلام لنفسى ) :  
- « بالعكس يا صغيرتى .. إن الاتصال النفسى والمعنوى بين التوأمين لأمر معروف وقديم ، وثمة اتصال آخر أقوى وأكثر وضوحاً هو اتصال الأم بابنتها .. من منا لم يمر بموقف كهذا ؟ تتألمين أو تحزنين ثم تعودين لأمك ، فتصارحك بأنها كانت تشعر باتقباض شديد ، فى الوقت عينه الذى مررت فيه بتجربتك غير السارة .. »

بعد هذا بأعوام قرأت فى كتاب للأستاذ ( أنيس منصور ) أن مدير معهد ( الكشف عن الكذب ) فى ( أمريكا ) حكى عن أم أمتها بطنها بشدة ، وفى المستشفى بحثوا عن التهاب فى زائدها الدودية فلم يجدوا .. بعد ساعات دق جرس الهاتف وكانت ابنتها تخبرها بأنها أجرت جراحة الزائدة منذ قليل ، وأنها الآن بخير ! (\*)

إن التواصل الشعورى بين جسمين ماديين منفصلين لأمر غريب ؛ لكن من الواضح أنه شىء قديم ومعروف لدى البشرية ..

توجد عادة عجيبة اسمها ( الكوفيد ) Couvade ، تمارس على نطاق واسع لدى الشعوب شبه البدائية فى ( أمريكا الجنوبية ) و ( جنوب شرق آسيا ) .. والملاحظ هاهنا أنها لم تمارس قط فى ( إفريقيا ) ولا ( استراليا ) ..  
والعادة مضحكة بعض الشيء لكنها تعكس شيئاً مما نتحدث عنه ..

(\*) أرواح وأشباه . دار الشروق . الطبعة الثالثة عشرة .



إن ( الكوفيد ) طقس بدائي رمزي نتحدث عنه طنباً  
للطرفة ، لكن ما الموضوع فيما يتعلق بصديقتنا  
( نجلاء ) هذه ؟

★ ★ ★

حين تلد الأم يدخل زوجها كوخه وحيداً ويرقد في  
الفرش وينن .. ويكف عن عمل أي شيء لمدة أيام ،  
ويتحاشى أي عمل عنيف ، ولا يلتهم سوى الأرز  
بالمح !

بمعنى آخر : يقوم هو بكل ما تقوم به النساء ،  
بينما الأم الحقيقية غارقة في أعمال البيت الشاقة دون  
لحظة راحة واحدة !

ما معنى هذا ؟ ما الغرض منه ؟ لا أحد يدري  
حقاً ..

وكالعادة - كلما تعلق الأمر بعادات البدانيين - كانت  
الكلمة الفصل للسير ( جيمس فريزر ) في كتابه  
الشهير ( الغصن الذهبي ) .. يقول ( فريزر ) إن  
الأب يأكل أولاً ليتأكد من لا يؤذي معدة الوليد !  
ويتأوه في الفراش كي يخدع الأرواح الشريرة ،  
فتحسبه هو الأم وتهاجمه .. وهو - بطبيعة الحال -  
أقدر على مكافحتها وأقوى ..  
ها نحن أولاء أمام مثال فريد للتكامل الحيوي : المرأة  
تلد فيتأوه الرجل ويرقد في الفراش في حالة إعياء ،  
والرجل يأكل طعاماً سهلاً المضغ كي لا يتأذى ولده !

## الفصل الخامس : لا أهمية له سوى الاستطراء ويمكن لسريعى الملل أن يبدءوا بالفصل السادس

كان د. ( محمود ) جالساً فى معمل ( وظائف الأعضاء ) - ( الفسيولوجيا ) إذا كنت تفضل ذلك - عاكفاً على تصحيح بعض أوراق طلابه .. وكنت متوتراً بصدد اللقاء ، فلا شىء يثير الذعر مثل أن تلقى إنساناً لم تره منذ ثلاثة أعوام .. لقد عاد من ( ألمانيا ) أخيراً ولن يكون اللقاء سهلاً .. لا بد من كثير من الصراخ والتهليل والقسم و .. و .. .  
وقد كان بالضبط ، مع كثير من العناق ، والضرب بقبضة اليد بين لوحى الكف ، والرذاذ المتطاير من الفم . وأخيراً استطاع أن يهدأ فأخبرته بمشكلة ( نجلاء ) ..

ابتسم فى غموض ، وقال وهو يتقدمنى إلى منصدة ما :

- « أنت تبحث فى أكثر أسرار النفس البشرية تعقيداً .. لا تتوقع أن تكون لى إجابة جاهزة لهذا ،

حتى لو كنت حاصلاً على جائزة ( نوبل ) فى الطب .. »  
- « كانت هناك ثلاثة كلاب تعسة مقيدة إلى إطارات خشبية ، حيث يمارسون عليها تجارب ( بافلوف ) الشهيرة ذات الجرس - رأيتهم يشير إلى قفص به أنثى كلب لطيفة المنظر ، تحيط بها ثلاثة جراء رائعة الجمال .. كان ينتوى شيئاً ما .. وكاتت عينا الكلبة قفقتين مثلى تماماً ..  
قلت له مرتاباً :

- « لحظة .. لا تقل إنكم تعذبون هذه الكائنات الوديعه بدعوى العلم .. »  
ابتسم وهز رأسه نقياً :

- « سنفعل لكن ليس الآن .. إن ( توسكا ) قد صارت أمأ ، وهذه مناسبة تستحق الاحتفال بها .. يمكن تأجيل التجارب بضعة أيام أخرى .. تعال يا ( بسيونى ) .. »

جاء العامل التعس بدوره كأحد هذه الكلاب ، ودون سؤال مذيده إلى داخل القفص والتقط جرواً صغيراً لا يكف عن التلوى والصراخ الرفيع .. حاول عض يده الخشنة لكن ما من عضه تستطيع اختراق هذا الجلد الثخين ..

- « ( محمود ) .. ماذا تنوى بالضبط .. »

- « شششش ! انتظر لحظة .. »

ورأيتَه يحمل الجرو الصغير ويشير إلى كى أتبعه إلى حجرة جانبية صغيرة ، ثم أمرنى أن أقف على الباب مما يتيح لى رؤية المعمل والحجرة الجانبية فى الآن ذاته .. كانت ( توسكا ) تدور فى قفصها وتصدر أئينا رفيغاً يمزق نياط القلوب .. لقد طار صوايها فرقاً ..

رأيت (محمود) يكلم الجرو الصغير بيده اليسرى ، ثم بيده اليمنى يغرس دبوساً دقيقاً فى ظهره .. تلوى الشيء عديم الحيلة أماً ، لكنه لم يستطع العواء ..

- « ( محمود ) هل جننت ؟ أترك هذا الـ ..... »

فى اللحظة التالية نظرت إلى القفص الذى كانت به (توسكا) ، فرأيتها تشب على قدميها الخفيفتين ، وقد تشببت بالسلك الغليظ . وراحت تعوى دون هواده وبلا كلل .. كانت تتألم حقاً .. لا شك فى هذا ..

اتزعج د. ( محمود ) الدبوس وغرسه فى فخذ الجرو ..

صرخة ألم رهيبه ليس من الجرو ، بل من (توسكا) ذاتها .. وقد بلغ بها الهياج حدًا مريعًا ، فلو لم تكن فى قفصها لمزقتنا شر ممزق ..

- « كفى .. كفى ! لقد اقتنعت ! ليس من واجبك

أن تذبحه كى تضمنى إلى وجهة نظرك ! »

قال كمن ينهى محاضرة شائقة :

- « كان هذا مثلاً بسيطاً .. كما ترى : لم تعرف

الأم ما حلّ به ، ولم تسمع له صرخة ألم ، لكنها

تألمت .. أى جاهل يمكنه أن يرى أنها تألمت ..

( بسيونى يى ) ! »

وهرع ( بسيونى ) يلحق برئيسه ، فحمل الجرو

المولول ليعيده إلى أمه ، وهو يردد عبارات التهذنة :

- « هيه ! كفى ! لقد عاد لك يا امرأة ! ستترين

أنا لم نأكله بعد ! »

والحق أن عيني كادتا تدمعان وأنا أرى لهفتها على

رضيعها ، وهى تعلقه بلسانها فى جنون كأنما تتأكد

من أنها أزالّت راحتنا المقرزة من على فرانه ..

قال د. ( محمود ) وهو يفسل يديه تحت صنوبر ماء :

- « إن الأمر قابل لتفسيره أدبيًا أو فلسفيًا .. إن

الأطفال قطعة من روح الأم انفصلت عنها ، ولهذا

تشعر الروح الكبرى بالأم أجزائها .. لكن أعطنى

تفسيرًا علميًا واحدًا لا يقودك إلى المصحة العقلية ..

لا يوجد .. إن الذراع المبتورة لا تشعر بما يحدث في جسد صاحبها .. دعنى أبتز ساقيك ثم أعد منها شواء ممتازاً .. يمكنك وقتها أن تجلس معى بانتظار نضجها وتأكل منها لو أردت .. لكن لا تزعم لحظة أنك ستشعر بذات النار التي تحرقها .. »

الحق أن هذه الصورة بدت لى شاذة نوعاً : أنا و (محمود) نجلس إلى المائدة نلتظ ، بينما ساقى النحيلة موضوعة على الفحم ، وقد بدأ صبرنا ينفد وجوعنا يتزايد .. يا له من مشهد !

سألته وأنا أحرك ساقى كأنما لأؤكد من أنهما هناك :

- « وبالطبع ما ينطبق على الأمهات ينطبق على التوائم .. »

جفف يده بالمنشفة ، وقال :

- « نعم .. إن نظرية G.O.K تفسر كل هذه الأسرار الأثرية .. »

- « وما خلاصة هذه النظرية ؟ »

- « GOK أى God Only Knows ( الله وحده يعلم ) وهي من التفسيرات المحببة لتفر كبير من العلماء .. »

وبها تجد الحقيقة وراء مثلث ( برمودا ) وشهاب ( تونجوسكا ) وظاهرة التخاطر و .. و ..... إنهم يسمون هذا المذهب باسم ( اللا أدريّة ) .. »

حقاً .. G.O.K ( سبحان الله ) .. لكن من واجبنا أن نبحث وأن نحاول أن نعلم .. علنا نقتبس جذوة من نار العلم السرمديّة اللامتناهية ، تبيد عنا ظلام الكهف ليلاً ..

G.O.K .. لكن مشكلة ( نجلاء ) تنتظر الحل ..

\*\*\*

فى الثامنة مساءً توجهت إلى دارها ..

كان د. ( محمد شاهين ) قد أعطاهم فكرة عن مقدمى ، والحقيقة هى أننى لم أدر سبباً لـرغبتى فى زيارة دارها .. لربما شعرت بأن تواجدى فى مسرح الجريمة خير من القراءة عنه فى الصحف ، ولربما حسبت أننى سأرى شيئاً لم أتوقعه ينير لى هذا الظلام ..

لكن أهم الأسباب لـقدمى هو أن ( ناهد ) قد وعدت بزيارة أهلها فى ذلك الوقت بالذات ، وهى لعمري صدفة جيدة ..

الطابق الثالث .. كان الهواء يتحدى رنتى أن  
تبتلعه ، وتسارعت دقات قلبى فالتقطت أنفاسى  
برهة ، ستقتلنى ناطحات السحب هذه يوماً ما ..  
دققت الجرس فظهر لى الأب هاشاً باشاً .. كان كما  
وصفته تماماً : أب .. لا أكثر ولا أقل ، يرتدى جلباباً  
أبيض يكشف عن كرش لا بأس به ، وحافى القدمين  
على سبيل التبسط ..

وجلست فيما يشبه قاعة الجلوس .. بحثت عن  
الأريكة إياها التى تغطيها سجادة الصلاة لتخفى  
تمزقات القماش .. آه ! ها هى ذى .. ثم بحثت عن  
الصورة اللعينة التى تطاردنى فى كل مكان ، والتى  
تظهر فتاة تحاول أن تلتئم بشفتيها فم ثعبان بين  
أناملها .. آه ! ها هى ذى ! أنا لم أخطئ طريقى  
إذن .. وطبعاً الجدران مطلية بالجير ذى اللون  
الأصفر الشاحب كالعدس .. بيت تقليدى جداً ..  
و - كالعادة - مزدحم جداً بالأثاث أكثر مما يتحملة  
الأمر ..

جاءت الحاجة ترحب بى ، وهى كما وصفتها  
( نجلاء ) تماماً ، وإن بدا الشك فى أمرى واضحاً فى  
نبرتها ونظراتها ..

تسألون عن سر حماسى للأمر ؟ يا سلام ! إن  
فضولى البشرى لا يمكن إرواؤه ، ثم إن هذه المغامرة  
بعيدة ولله الحمد عن التواييت التى تتفتح عند  
منتصف الليل ، والأشياء التى تعوى عندما يبرز  
القمر من وراء السحاب .. إنها مغامرة شبيهة بحل  
الكلمات المتقاطعة فى جريدة ، ولا تزيد أو تقل فى  
خطرها عن ذلك ..

كان شارعاً ضيقاً متوسط النظافة .. نظرت لشرفة  
الطابق الثالث فلم أجد القلة إياها ، لا بد أن الأب  
اشترى ثلاجة بالتقسيط من معاشه .. لكنى رأيت  
القطعة المشمشية الواقعة على السور نصف غافية ،  
وهى - القطعة - من طقوس الطبقة المتوسطة  
المقدسة .. لا بد من واحدة يضربونها بعضا المكنسة  
حين تسرق اللحم أو تعوى فى مواسم التكاثر ..

السلم هو السلم المعهود فى هذه المنازل .. بعض  
درجات مهشمة أو معوجة .. راحة عطن من  
البنر .. شقق الجيران مفتوحة تصاعد من بعضها  
رائحة عشاء يطهى ، وترى كل هذا فى ضوء خاب  
من مصباح سلم يخفى أكثر مما يظهر ..

« هذه المرأة تعتبرنى نصاباً »

قلت لها لنفسى ، واحترمتها لصراحتها .. فمن أنا كى  
أزعم أننى أفهم ما عجز عنه كل المشايخ الذين جاءت  
بهم ؟ .. من أنا أمام كل البخور الذى أحرقته ،  
والأحجبة التى علقته فى صدر ابنتها ؟

قال الأب وهو يضع كوب الشاي على الأريكة  
جوارى :

« إن ( نجلاء ) تتعذب بحق يا دكتور .. »

كان الكوب فى وضع خطير ، فلو تحرك ربع بوصة  
لانقلب .. لهذا تركز انتباهى كله على منع هذه  
الكارثة .. قلت له شارد الذهن :

« أنتم ترونها تتألم طيلة الوقت .. »

« ليس الأمر مقصوراً على الألم .. أحياناً ننهض  
من على الطليقة ثم تعن أنها جائعة .. وأحياناً تشمئز  
من الطعام برغم أنها لم تذقه منذ يوم .. أحياناً تبكى  
أو تضحك دون سبب .. »

حقاً إن الأم محقة ..

يسهل على الرجل العادى أن يفترض أن هذه

أعراض من .. التيباس .. تقمص من الجن .. أما  
الطبيب النفسى فسيرى حالة ( هستيريا ) مثيرة  
للاهتمام ..

جاءت ( نجلاء ) فحييتنى فى حرارة ، وجنست  
تنتظر .. سألتها وأنا أنظر لساعتى :

« هل مدام ( ناهد ) قادمة ؟ »

« هكذا وعدتنا .. ولا أدرى لم تأخرت .. »

ثم قالت بلهجة ذات معنى :

« يبدو أن الصداع قد جعلها تتأخر عن

المجىء .. »

وفهمت ما تعنيه .. لقد شعرت بصداع شديد مما

جعلها تفترض أن ( ناهد ) تشعر بنفس الشيء ..

وهو وضع مرهق حقاً .. كيف يمكنك تمييز الصداع

الأصيل من الصداع المقلد ؟ .. كيف يمكنك تمييز

صداعك من صداع الآخر ؟ ..

« آه ! .. ها هى ذى ! »

قالتها وهى تنهض استجابة لدقة الجرس ، وظلننا

فى صمت بضع دقائق ، ثم دخلت ( ناهد ) وزوجها

إلى المكان ..

★ ★ ★

أما عنه فكان شبيهاً به (رشدى أباطة) حسب قول  
(نجلاء) لكن لو كان (رشدى أباطة) شبيهاً  
به (عبد الفتاح القصرى) ! إن دقة الوصف عند  
بعض الفتيات تصيبني بالجنون أحياناً .. كأن لهن  
عيوناً غير عيوننا ..

أما عن (ناهد) فكانت تضمّ رضيعها - الملفوف  
كمومياء (حطب حرس) - إلى صدرها ، ونظرت لى  
فى عدم فهم .. الحق أنها كانت باهرة الجمال ..  
الشمس الساطعة التى تحرق عينيك بنورها .. لكنها  
لا تبعث الارتياح فى النفس ، وثمة مساحة ما من  
القسوة والعجرفة على وجهها .. ولعلنى مخطئ فى  
هذا ، لكن (نجلاء) كانت بحق أكثر جاذبية وراحة  
للنفس ..

صافحنى الزوج فى ارتياب ، وصافحتنى هى فى  
شك ، فداعبت الرضيع فى اشمزاز ، ثم جلسنا جميعاً  
فى توتر .. !

فى النهاية - على صوت رشفات الشئى القلقة -  
قالت (نجلاء) :

- « أعتقد أن د. (رفعت) يريد الانفراد بى  
أنا و (ناهد) .. »

تبادل الأب والأم وزوج الابنة نظرات عدم الفهم ..  
خاصة أن الأخير لم يكن يعرف لى دوراً فى الحياة  
أصلاً .. لكن (ناهد) اختصرت مجهود الشرح  
إذ سقط كوب الشئى الساخن على قدمها فأطلقت  
صرخة ..

وفى اللحظة ذاتها صرخت (نجلاء) وهى تتحسس  
قدمها :

- « قدمى .. ! .. آه ههه ! » -

هرعت الأم تتفحص قدم (ناهد) ، وراحت تنظف  
ما سقط على الأرض بخرقه قماش لا أدرى من أين  
جاءت بها ، أما أنا فأدركت بنظرة سريعة أن الحرق  
سطحى لا يستحق ضجيجاً .. الغريب أن قدم (نجلاء)  
بدأت تكتسى باللون الأحمر ذاته ..

نظرت للزوج فرأيتَه ينظر لى ذات النظرة .. قلت :

- « الآن أنت تفهم سرّ مجيئى .. »

قال وقد صرنا على موجة واحدة :

## الفصل السادس : لا أهمية له سوى الإسهاب

ويمكن لسريعي الملل أن  
يبدءوا بالفصل السابع

كانت النتيجة إيجابية حقاً ..

جريت اختبارات الإحساس المعروفة كالآلم  
والحرارة - بقاعدة كوب الشاي الساخنة - والضغط  
العميق ، وفي كل مرة كان وخز معصم ( نجلاء )  
أو إصبع قدم ( ناهد ) يصل دون تحريف إلى الأخرى  
وفي الموضوع ذاته .

لقد كان جهازهما العصبى واحداً ..

ظلّ الزوج - واسمه ( محمود ) - يتابع المشهد  
صامتاً كالأسمك .. لكن النتائج كانت واضحة تماماً  
لا تحتاج إلى أدنى تعليق ..

بعد قليل همس بصوت كالفحيح :

- « كنت أشك في هذا منذ حادث الغسالة  
الكهربية .. لكنى لم أعد قط متأكداً كهذه اللحظة ..  
إن هذا مستحيل .. »

- « إن هذه الحوادث تتكرر كثيراً جداً .. لم يعد  
بالإمكان ألا تلاحظ ذلك .. »

ثم - بلهجة شبه أمرة - قال للأب والأم :

- « والآن هلمّا يا حماتي ويا عمى .. لم يحدث  
ضرر من الشاي والحمد لله .. لكن الدكتور يريد  
فحص ( نجلاء ) بدقة .. »

امتثل الاثنان للأمر ، وهما لا يفهمان .. لقد قاما  
بتقديمنا لبعضنا منذ دقائق والآن صارت لدينا أسرار  
خاصة لا ينبغي أن يطلعاً عليها !

حين هدأت الفتاتان أخيراً قمت كى .. أو بس ! لقد  
حدث المحذور وطار كوب الشاي ليلوّن الأريكة  
كلها نسيت وضعه الحرج في غمرة اتفعالى .

رحت أعتذر وهم يؤكدون ألا مشكلة هناك ، لكنهم  
- قطعاً - يتمنون أن يقطعوا عنقى في سرائرهم ..

انتهى المزاح ففقت كى أعرف حقيقة هذه  
الظاهرة ..



- « الآن ترى أنه ليس مستحيلاً .. »  
قالت (ناهد) وهي تشد كم قميصها لتعيده إلى  
موضعه :

- « لا ندرى متى بدأ هذا ، لكننا أفقنا فجأة لنجد  
أننا - أنا و (نجلاء) نشعر بالأشياء ذاتها ، وإننى  
أسأل عن كوننا لم نلاحظ هذا فى طفولتنا .. يمكن  
القول إن الأمر بدأ منذ عام واحد .. »  
قلت فى حيرة :

- « ربما كان السبب هو أنكما تباعدتما فتضخم  
هذا الشعور ليعوض المسافة بينكما .. ربما كان  
السبب هو أنكما تقدمتما فى العمر وصرتما أكثر  
قدرة على فهم ما لا ينتمى إلى أحاسيسكما .. لا أدرى  
حقاً .. لكن بدء الظاهرة متأخراً لا ينفى وجودها .. »  
قالت (نجلاء) بلهجة حاسمة :

- « ما هو مصيرنا ؟ .. هذا هو السؤال .. »  
قال الزوج بلهجة مستخفة :

- « أى مصير ؟ لا مشكلة هناك .. ولا خطر .. »  
قاطعته وأنا أريح جسدى المنهك على الأريكة :  
- « لا خطر ؟ من قال هذا ؟ من حق كل



وفى كل مرة كان وخز معصم (نجلاء) أو إصبع قدم (ناهد) يصل  
دون تحريف إلى الأخرى وفى الموضع ذاته ..

واحدة منهما أن تعيش حياة طبيعية ، وألا نتألم حين لا يكون هناك سبب للألم .. لو أجرت واحدة منهما جراحة فما ذنب الأخرى ؟ .. ثم إننا لسنا خالدين على الأرض .. لو جاء قضاء الله وتوفيت واحدة .. «  
في ضيق غمغت ( ناهد ) :

- « فأل الله ولا فألك ! »

شعرت بغيظ ألى هذا الحد هي حمقاء مغرورة ؟  
قلت في هدوء :

- « كلنا سنموت ، ولن يخلد أحدنا لمجرد أن هذا يروق له .. لو ماتت واحدة منكما فما مصير الأخرى ؟ »

كلها أسئلة بلا إجابة ..  
كلها أسئلة إجابتها الوحيدة هي G.O.K الشهيرة ..  
ربما يتكفل الزمن بمزيد من الإجابات لمعضلة كهذه ..

\*\*\*

بعد هذا بأسبوع كنت راقداً في الفراش أقرأ ،  
وقراءتى فى الآونة الأخيرة تدور حول القصص  
الرومانسية شديدة البلاهة .. ليس بسبب الحب

- لا سمح الله - لكن لأنها الشيء الوحيد الخالى من  
التوتر ، وهذا من حقى بعد مغامراتى إياها فى  
( روماتيا ) .. ولم يمنعنى من قراءة مجلات ( ميكى )  
سوى بعض الحياء والخجل من كهولتى ..

دق جرس الهاتف فسمعت من يخبرنى فى هلع أنه  
( عبد الجواد ) والد ( نجلاء ) .. لايد أنه يتصل من  
شقة ( أم بلبل ) بالتأكد ..

كلا .. ( نجلاء ) لم تمت .. إنها تتلوى ألماً من  
وطأة أسوأ مفض يمكن وصفه ، ويبدو أنها لا تكف  
عن القىء .. ثم :

- « أرجوك أن تأتى يا دكتور ! »

نظرت إلى الساعة .. إنها الثالثة بعد منتصف  
الليل .. وهذه هى مشكلة الرد على الهاتف ..  
لا أقوى على الخروج الآن ، لكنى كذلك لا أجرو  
على التنصل .. هناك مستشفيات كثيرة ساهرة ،  
ينتظر بها آلاف الأطباء الشبان المتحمسين المفعمين  
نشاطاً وحيوية ، فما ذنبى أنا بالذات ؟ لم تعد صحتى  
تسمح لى بالركض فى الشوارع ليلاً حاملاً حقيبتى ..  
لكنى سأفعل ..

ارتديت ثيابي ، وتناولت حقيبتى ، وركبت السيارة  
منطلقاً إلى ( شبرا ) ..

كالعادة كانت أكثر من شقة مفتوحة ، وكان هناك  
جيران كثيرون بالمنامة أو قميص النوم ، وقد تحولت  
شقة ( نجلاء ) الضيقة إلى سيرك .. وفى غرفة  
النوم كانوا يصنون شراب ( الكراوية ) صبيًا فى حلق  
الفتاة المولودة الباكية ، فنهيتهم عن هذا وأمرتهم  
بالخروج ..

كان الفحص سلبياً .. لا توجد علامات على أى  
شئ مريب سوى تصلب عام فى جدار البطن ،  
ولم تذكر الفتاة شيئاً غير معتاد بصدد طعامها  
أو شرايها .. الكل أكل وشرب معها ..

كانت الحيرة تغمرنى ، ثم بزغ الحل فى ذهنى  
سريعاً .. يالى من أحمق ! إنها تتصرف كالمصابات  
بالتهاب بريتنوى دون أن تكون مصابة به حقاً .. فما  
معنى هذا ؟

غادرت الحجرة مسرعاً ، فاستوقفنى الأب على  
الباب سانلاً :

- « ظمئى يا دكتور .. ماذا دهاها ؟ »

ابتسمت له فى عذوبة وأنا أزيحه عن طريقى :

- لا شئ .. مجرد ثقّب فى قرحة معدية ..

« والتهاب بريتنوى ! »

- « وهل هذا خطير ؟ »

- « إنه يقتل .. فهل هذا خطير بما يكفى ؟ »

تقلص وجهه فى رعب .. لقد نسيت أنه مصاب  
بوهن فى القلب .. عسى ألا يفعلها الآن فلا وقت  
لدى .. سألتى وهو يرتجف :

- « إذن .. إذن لماذا تتركها ؟ »

- « ياله من سؤال ! » طبعاً لأنقذ ( ناهد ) ! إن

الثقّب فى معدتها هى ! »

\*\*\*

كانت رحلة رهيبة إلى ( حلوان ) ، أسترشد  
فيها بوصف الأب لدار ابنته .. وكان ضوء الفجر  
يخالط الظلمات ، حين صعدت فى الدرج قاصداً الشقة  
فى الطابق الثاينى ..

وقبل أن أقرع الباب سمعت الصراخ الذى أكد لى  
أننى لم أكن حماراً حين تركت (نجلاء) وجنت هنا ..  
انفتح الباب عن وجه زوج ( ناهد ) ، ولم يقل  
حرفاً يعبر عن الدهشة أو الترحيب أو الرضا ..

فقط صاح كأنما يستكمل محادثة سابقة :

« إذن تعال لتراها ! إنها تموت ! »

ودخلت وراءه لأجد ذات المشهد للجارات محمرات  
العيون اللواتى يتمنين لو انتهى كل هذا الضجيج  
ليعدن للنوم ، والطفل يعوى كالذئب على صدر واحدة  
منهن ..

وفى غرفة النوم وجدت فوضى عارمة ، وملءات  
مكومة فى كل صوب ، يساها ناهد ) متكورة فى  
الفرش تنن وتصرف ..

كانت جوارها أكواب ( الكراوية ) الخالدة وفصوص  
الليمون ، وأكواب النعناع بالكُمون .. كل واحدة من  
الجارات تطوعت بإعداد شيء ما .. والخدمة التى  
قدمتها هى إعطاء مشروب ساخن لمريضة ذات ثقب  
فى معدتها ..

وفى هذه المرة كان التشخيص واضحا تماما ، فلم  
أضيع وقتا أكثر وصحت أمر أحدهم بأن يستدعى  
سيارة الإسعاف بالهاتف ..

ربع ساعة أو نصف .. تأخرت السيارة ربع  
أو نصف ساعة حتى جاءت ، وفى هذا الوقت شيعت

صراخا وخمشا وسيابا من ( ناهد ) .. فهى - كأت  
شخصية مدللة غير ناضجة - تعتقد أن الألم إهانة  
لها ، ولا تذخر جهدا حين تتألم فى أن تشعر الآخرين  
بالذعر والتوتر والذنب ..

إنها تصرخ كأنما يتم ذبحها دون أية محاولة  
للسمو بالألم أو تحديه ، بينما ( نجلاء ) كانت تنن  
من بين أسناتها ، برغم أنها تشعر بذات القدر من  
الألم ..

\*\*\*

وفى المستشفى - حيث أعمل - تمت الجراحة  
بنجاح ساحق .. إن د. ( على ) أستاذ الجراحة يعرف  
حقا ما يقوم به .. لقد كانت ( ناهد ) تهوى تعاطى  
أقراص ( الأسبرين ) لعلاج صداعها المزمن - وكل  
هاته الفتريات الهستيريات مصابات بصداع مزمن -  
لكن الأسبرين أدى عمله جيدا فأحدث قرحة فى  
معدتها ، والقرحة استحالت ثقبا بسهولة بالغة ..

فى اليوم التالى مررت على عابرة الجراحة  
لأراها ..

كان العنبر مزدحما ، فزوجها لم يستطع ولم يرد

ان يدخلها إلى مستشفى خاص .. كانت راقدة على ظهرها وأيوب ( رايل ) ما زال يخرج من أنفها .. بينما جلس الزوج جوارها يقشر أصابع الموز لها ، فقط ليكتشف أنها لن تأكل قبل مدة ، من ثم يدس إصبع الموز في فمه ويبدأ في تقشير إصبع آخر .. قال لي حين رأي ، بغم ملء بالموز :

- « إنها بخير .. والفضل لك .. لقد أضعنا ثلاث ساعات كاملة في هراء الجارات ونصائح الأصدقاء .. تناولت إصبع موز بدورى ، فبدأت تقشيره وقلت : « لا شافى سوى الله .. أعتقد أن المنص قد زال عن ( نجلاء ) ؟ .. »

- « حقا زال .. لكنها تشعر بألم في جدار بطنها .. على حد كلامها تشعر كأن هناك جرحا مخيطا .. ! »  
- « هذا لا يثير دهشتي الآن .. »

ودسست إصبع الموز في فمي مفكرا في ما إذا كان من الوقاحة أن أمد يدي لأسلخ إصبعاً آخر . لكنه قدم لى إصبعاً آخر ليوفر على العناء ، ثم كور ورقة الجريدة على ما تبقى منه ، ليغلق باب الكرم .. هنا لاحظت أنه ينظر إلى الوراء في ارتياب ..

نظرت بدورى للوراء ، فوجدت شاباً فى العقد الثالث من العمر يقف على مسافة مترين من الفراش متردداً بين إقدام وإحجام ..  
ويوثيتين كان قد اتخذ قراره .. اتحنى ومد يده يصفاح ( ناهد ) فى حرارة ، وغمغم بشيء من ارتباك :

- « حمداً لله على سلامتك يا ( ناهد ) .. يبدو أنك على ما يرام .. »

ثم بثلاث وثبات كان قد ابتعد ..

يمكننى هنا أن ألخص غرابية الموقف كما يلي :

١ - هو لم يصفاح الزوج ولم يفه أمامه بينت شفة .  
٢ - مصافحته طالقت وقتاً أكثر مما يجب .. حتى لو كانت ( ناهد ) رجلاً لما احتاج لكل هذا الوقت ليصفاحها .

٣ - رد فعلها هو إلى الارتباك والحيرة والحرج أقرب .. لا توجد أية حرارة فى استجابتها .

٤ - لم أرتج لمظهر الفتى .. له شارب رفيع مما يحب الأوغاد أن يضعوه فوق شفاههم العليا ، وله عينان ضيقتان أتمتان كذوبان فيهما غباء وندس ..

ثم شعره الطويل المتدلى على كتفيه كما تقضى  
الموضة في أوائل السبعينات ..

٥ - من الواضح أنه في حالة مادية أدنى من  
متوسطة .. ثيابه تشى بذلك ، وكذا عدم إحضاره  
لشيء معه ، خاصة علبة الشيكولاته الأبدية التي هي  
قانون المرض غير المكتوب ..

٦ - واضح كذلك أن الزوج لم يحب رؤيته قط ،  
لقد بدا على وجهه ذات التعبير الذي يبدو على  
وجهك لو وجدت بورصاً ساقطاً في طبق الحساء على  
مائدتك ! هو التعبير ذاته بلا مبالغة .

٧ - من الواضح أنني قوى الملاحظة حقاً !

بعد انصراف الفتى نظر لها الزوج ملياً .. ثم همس  
بصوت كالفحيح :

- « كيف عرف هذا الحيوان بوجودك هنا ؟ »

★ ★ ★

## الفصل السابع : لا أهمية له سوى الثروة

ويمكن لسريعي الملل  
أن يبدءوا بالفصل الثامن

وجدت أن وقت الإسحاب قد حان .. فنهضت مهناً  
بشغافها ، شاكرًا لزوجها ما قدمه لي من موز .. ولم  
أدر قط أن هذا اللقاء كان ذا أهمية كبرى في سياق  
هذه القصة ..

★ ★ ★

- « لقد زارها ( صلاح ) في المستشفى ثلاث  
مرات ! »

- « تبا له من وقح ! »

- « لو عرف زوجها لفجر رأسه ! »

- « ماذا يريد منها ؟ »

- « لقد تزوجت وأنجبت فماذا بعد ؟ هل يجب أن

تموت أيضاً ؟ »

كنت جالساً في شقة ( نجلاء ) أصغى لهذه  
المحاورة اللطيفة الواقعة بين أربعة أطراف - فقد كان

د. ( محمد شاهين ) معنا - وأنا أظاهر بالصمم ،  
وبأننى منهمك فى تشفير ( البونبون ) اللزج الملتصق  
بورفته ..

فى النهاية شعرت بأن عدم تدخلى فيما لا يعينى  
قد صار أقرب إلى الوقاحة وقلة الذوق .. التهذيب  
الحقيقى هنا هو أن أتدخل فيما لا ناقة لى فيه  
ولا جمل ..

سألت دون اهتمام حقيقى :

- « أ .. معذرة .. ولكن من هو ( صلاح ) هذا ؟ »

★ ★ ★

( صلاح ) ؟ ( صلاح ) ؟ من الذى لا يعرف  
( صلاح ) فى ( شبرا ) كلها ؟

( صلاح ) الظريف المرح .. ( صلاح ) القوى ..  
( صلاح ) الوغد .. ( صلاح ) الثعلب .. ( صلاح )  
الفارس المغوار الذى لا يشق له غبار ..

رسب فى الشهادة الثانوية ثلاث مرات ، وبعدها  
كف عن المجادلة ولا أحد يعرف ما يفعله بالضبط ..  
لكن جيبه دوماً ملىء بالنقود التى - على الأرجح - لم  
يسرقها ..

هل تبحث عن سمسار نصاب للسيارات المستعملة؟  
( صلاح ) يصح دوماً .. هل تريد أن تضرب أحداً ؟  
( صلاح ) يصلح .. هل تريد أية ورقة رسمية مزورة ؟  
( صلاح ) سيأتيك بها مقابل مبلغ مالى طبعاً .. فلو  
أنهم يسمحون بكتابة كلمة ( أفاق ) فى خانة ( المهنة )  
بالبطاقة الشخصية لوجدتها فى بطاقة ( صلاح ) حتماً ..  
كانت ( ناهد ) فى المدرسة الثانوية وقتها ،  
مخلوقة فاتنة تعرف أنها فاتنة .. وكان لا بد أن يحوم  
( صلاح ) حولها وقد استنتج أنها ليست حصفاً منيعاً  
كنوعمتها ( نجلاء ) .. لحسن الحظ أن أجمل الأختين  
هى أقلهما التزاماً وصرامةً ..

وشخصيته ( صلاح ) هذه جذابة للنساء دوماً ..  
فى البدء تهايه الفتاة ثم تجده طريفاً ثم تجده جذاباً ..  
وكان على ( صلاح ) أن يحوم حول ( ناهد ) مراراً  
فى أثناء ذهابها أو عودتها من المدرسة ، وهو ينقى  
عبارات غزل ذكية مازحة لا تملك الفتاة أمامها أن  
تكتم ابتسامةً ..

ثم راح يدور حولها بالدراجة البخارية التى  
اقترضها من ( سعيد ) صديقه ويصر على تسميتها

( مكنة ) . ويأتى بحركات بهلوانية من التى لا تراها  
إلا فى السيرك ، فكانت تبتسم أكثر فأكثر .  
وأخيراً ضحكت !

هنا نجد ظاهرة غير مسبوقه .. إن أمثال (صلاح )  
هذا غير قادرين على الحب أبداً ، بل هم يطاردون  
المرأة مدفوعين بنوع من غريزة الصيد ..  
مجرد قلب جديد يضاف إلى نادى القلوب المحطمة ..  
ورأس وعل جديد يعلقه فوق المدفأة مزهواً ..

لكن (صلاح ) أحب (ناهد) حقاً ، ولم يعد يرغب  
فى شىء سواها .. من الغريب أنه بدأ يستقيم ، وبدأ  
يبحث عن عمل منظم شريف .. وفى أعماقه السوداء  
أشرق ضوء خافت : الحاجة إلى زوجة ..  
لكن وعود (صلاح) نوع من الدخان الأزرق  
لا يدوم طويلاً .. يعد فى حماسة وينسى وعده فى  
حماسة أكبر ..

سرعان ما كان يعود لحياة الأفق .. فهى أسهل وأكثر  
ربحاً .. ثم إنها تناسب طباعه المتقلبة الشعبية المتأمرة ..  
لكنه ظل مولعاً بـ (ناهد) .. ولعل هذا كان الشىء  
الوحيد الصادق فى حياته عديمة النفع بأسرها ..

وفى ليلة سوداء اصطحب أباه العجوز - خفير  
سابق فى مصنع - وذهب ليخطبها من أبيها الأستاذ  
( عبد الجواد ) ..

كلا لم يكن أحق ولم يتحامق .. كانت نظريته  
تستند إلى دعائم قوية .. فالفتاة تميل إليه وهذا  
واضح .. كل الفتيات يهمن به على كل حال .. ثم إن  
الفتاة رسبت فى الشهادة الثانوية وهذا يجعل سعرها  
أقل حتماً . أضف لهذا أنه كان ذا دخل مرتفع ،  
صحيح أن أحداً - ولا هو نفسه - لم يستطع أن يحدد  
مصدر هذا الدخل بالضبط .. لكن المال هو المال .

وكان هذا فى عهد الموظفين المحترمين .. حين  
كان الموظف القادم من الطبقة المتوسطة يعتلى سلم  
المجتمع قبل أن يهوى اليوم إلى أسفله .. لهذا بدأ  
طلب (صلاح) شديد الوقاحة فى نظر الأب ، وكان  
رفضه باتاً وقاسياً :

- « إن ابنتى لن تتزوج رجلاً لا أعرف ما هو  
عمله بالضبط .. ولو سألت أحدهم ابنها عن وظيفة  
أبيه فماذا يقول ؟ »  
أضف لهذا أن الفتى كان يتمتع بأسوأ سمعة فى



الحى كله .. ولم يكن أحد يثق به إلا كما يثق  
بشعبان .. والشعابين ليست أفضل العرسان لابنتك  
بالتأكيد ..

كان الرفض باتاً .. لكن ( صلاح ) لم يستسلم قط ،  
ولم يصدق أن ( ناهد ) لن تكون له ..

\*\*\*

وهنا تتحرك الرومانسية فى أضع صورها ..

رومانسية قصص ( ماجدولين ) و ( غادة الكاميليا )  
وكل ما لم يقرأه ( صلاح ) لكنه يتصرف على أساسه ..  
وقد تعلم الدرس الأول من هذه القصص :

يجب أن تكون حبيبته لك وإلا لن تكون لآخر !  
وبالفعل تصرف بتهور مبالغ فيه ، فاستوقفها فى  
أثناء عودتها من المدرسة ، واقفل لدرجة أنه أمسك  
بمعصمها بقوة ، صارخاً فى هستيريا :  
- « أنا لا أرفض ! أنا لا أرفض ! »

حاولت أن تتخلص فى نعومة دون جدوى ، من ثم  
بدأت تصرخ بدورها واحتشد المارة وكانت فضيحة  
لا بأس بها ..



حاولت أن تتخلص فى نعومة دون جدوى ، من ثم بدأت  
تصرخ بدورها ، واحتشد المارة وكانت فضيحة لا بأس بها ..

وهكذا ذهب الأب إلى المخفر حيث أبلغ عن الحادث ، واستدعوا ( صلاح ) ليوقع على إقرار بعدم التعرض للابنة ..

وقع ( صلاح ) طبعاً .. لكن ما أهمية توقيع كهذا ؟ إن (صلاح) يحمل بذرة مخالفة القوانين في أحشائه ، وكلما خالف قاتونا شعر بأنه أحسن حالا .. لهذا لم يكن التعهد يساوي أكثر من الورق الذي كتب عليه ، وأدرك الجميع أنه لن يتوقف ..

خطبت ( ناهد ) بعد هذا لمهندستها الهمام ، وظلّ الجميع يرتجف هلعاً من انتقام ( صلاح ) لكنه لم يظهر .. بعد هذا أقيم الزفاف في حفل متواضع في شقة د. ( محمد شاهين ) حتى لا يشعر ( صلاح ) ، وقد حبسوا أنفاسهم فرقاً ، ولم يكن أحد ليبدى دهشة لو اقتحم ( صلاح ) المكان حاملاً مسدساً ليفرغه في صدر العروسين .. إن هذا يحدث دائماً في الأفلام العربية ، ومن الغريب أنه فات على العاشق المكلوم إياد ..

لكن ( صلاح ) لم يكن هنا .. كان قد سافر إلى (فرنسا) ليجمع العنب في هوجة سفر الشباب

المصرى إلى أوروبا في أوائل السبعينات .. وهي رحلة لن تسفر عن شيء في الغالب سوى بضع كلمات فرنسية يتشددق بها ، وقمصين وسروالين على أحدث موضة ، وعلبة سجائر ( جولواز ) يحملها في يده لأن السروال ضيق ، ويضعها دوماً حيث يراها الجميع ..

اختفى ( صلاح ) أعواماً عديدة من العالم اليومي ، ومن مخاوف الأسرة ، وبدأ أن الحياة تتحسن .. كان ذلك حين بدأت أعراض ( التماثل الشعوري ) هذه ، وظهر في حياة الأسرة شيء أصنع نحيل يدعونه بـ ( رفعت إسماعيل ) .. وهذا شيء مريع ، لكنه ليس أفظع من ( صلاح ) على كل حال ..

\* \* \*

الآن يظهر ( صلاح ) من جديد .. ويظهر في المستشفى ليهنئ ( ناهد ) على سلامتها أمام زوجها ، الذي لم يتبين شخصيته إلا بعد رحيله ..

إن الوغد لم ينس شيئاً ، ولم يتعلم شيئاً .. كان يحسب أن ما جمعه من مال في (فرنسا)

- وهو فى الغالب قليل جداً - يصلح لتغيير نظرة الأب له ..

لكنه وجد فتاته قد تزوجت ورزقت طفلاً ..

الشخصيات الناضجة تعرف كيف تقبل الحقائق ولا تتحدى المجتمع ، لكن من الأحمق الذى يصف ( صلاح ) بالنضج ؟

وفى الآونة الأخيرة كف ( صلاح ) عن الظهور فى ( شبرا ) .. لم يعد أحد يراه .. لكن وجهها جديداً مثيراً للتساؤلات ظهر فى ( حلوان ) ..

وبدا واضحاً أن الفتى لم ولن ينسى ..

إنه يبحث عن المتاعب بالمجهر الإلكتروني ..

ولم تكن ( ناهد ) تعرف هذا حين خرجت مع طفلها إلى السوق ..

\* \* \*

## الفصل الثامن : لأهمية له سوى ملء السجادة

ويمكن لسرى الملل البدء

بالفصل التاسع

كنت قد فرغت من عملى فجلست أطالع بعض

المنشورات الطبية التى وصلتني إلى الكلية ، حين

سمعت صوت الخطوات المألوف على الباب وقرعات

خجولا تطلب الإذن بالدخول ..

رفعت عينى لأرى ( نجلاء ) ، وقد بدا لى كأن

قطار بضاعة قد مر فوقها مرتين ..

كان وجهها مليئاً بالإعياء والإرهاق .. وهناك

كدمات فى كل مكان خاصة على خديها .. ومن

خطواتها أدركت أنها تعرج قليلاً ..

لم أجد ما أقول ، وبدا لى من الابتذال أن أسألها

عما هنالك .. سارعت بإحضار مقعد لها ، وربت على

كتفها مطمئناً .. ثم سألت :

- « أنت أم هى ؟ »

لقد صار هذا السؤال تقليدياً في الآونة الأخيرة ..  
لا يمكن أن تعرف ما لم تسأل .. قالت وهي تلتقط  
أنفاسها :

« هي .. لقد حدث هذا في التاسعة صباحاً ..  
تلقيت - وأنا في المكتب - عشرات الصفحات  
والركلات .. الطريف أن أحداً لم يفعل هذا بي ..

وأدركت على الفور نوع التجربة التي تتعرض لها  
( ناهد ) الآن .. غادرت المكتب مسرعة وركبت -  
بمظهري العجيب - إلى ( حلوان ) .. وهناك عرفت  
أن ( صلاح ) هاجم ( ناهد ) وهي في السوق .. بعد  
محاورة قصيرة اتهاled عليها صفعاً وركلا كالمجاتين ،  
وكاد يفتك بها لو لم يتدخل الناس الذين أصابهم  
الذهول لثوان .. وبالطبع كادوا يفتكون به بدوره ..  
إنه في المخفر الآن .. وهي في أسوأ حال .. »

شعرت بذهول عميق ..

أى بنطجى هذا ؟ أى حيوان ؟

إن من يضرب أمًا تحمل طفلها يستحق أن يتم  
تمزيقه إلى قطع ورميه للتماسيح .. لماذا لم تعد في  
مصر تماسيح ؟

رشفت جرعة من كوب الماء الذي أمامي .. لقد  
جعل الغضب لساني كحطبة ، ثم قلت لها :

- « إنه قد جنّ تماماً .. والأدهى أنه عاقب اثنتين  
لا واحدة ! .. »

ابتسمت في حزن .. فلم يكن هناك ما يقال ..  
قلت لها بعد صمت طال :

« لماذا جنت اليوم؟ » أعنى إننى أرحب بك دومًا ،  
ولكن أية ريح طيبة ألفت بك ها هنا ؟ التخبرينى بكل  
هذا ؟

قالت في شرود وهي تتحسس كدمة تحت عينيها  
اليسرى :

- « أقول إننى لم أعد أطيق هذا الوضع  
يا د .. ( رفعت ) .. إننى أقرح فلا أرى إن كنت فرحة حقًا ..

أحزن فلا أرى إن كنت حزينة حقًا أم هي .. حتى  
الجوع لم أعد واثقة من أنه جوعى .. لقد فازت ( ناهد )

بكل شيء .. واليوم لم تعد مشاعري ذاتها من حقى .. »  
- « إنها تعاني الشيء ذاته على كل حال ،

ولا أظنها سعيدة .. »

- « لكنها حمقاء ! »

قالتها في اشمزاز ، وأردفت :

- « حمقاء ! والحمقى يجلبون على أنفسهم الويال دائماً .. أنا لا أضرب ولا أصفح .. لا يوجد شيء من المشاعر والأحاسيس الكريهة فيما ألقه لها .. أما هي فتجعلني أذفع ثمن حماقاتها ! »

نظرت لها ملياً .. ثم في كياسة غمغت :

- « بالعكس .. أنت تتقلبن لها شعوراً كريهاً طيلة

الوقت .. »

- « وما هو ؟ »

- « الغيرة ! »

\* \* \*

زجوا بالفتى في السجن لمدة ثلاثة أشهر، وهي فترة أشبه بإجازة الصيف بالنسبة للفتاتين وأسرتهما .. سيخرج حتماً .. لكن ربما يغدو أكثر تهديناً .. حين يحبب من لا يستطيع الحب ، يغدو إقناعه بنسيان الأمر ضرباً من المستحيل ..

اندمجت في حياتي الطبيعية الهادئة ، فكان لى لقاء مع طفل ممسوس ربما أحكى لكم قصته فيما بعد ، وتعرفت كائننا شيطانياً يدعى ( كراسوس ) ربما

يسعدنى الحظ بأن أقدمه لكم .. ذكرونى فيما بعد بهذين .. هه ؟

أقول ابنتى اندمجت في هذه الحكايات البهيجة التى تتكون منها حياتى ، حين جاءتنى ( ناهد ) ذات صباح فى الكلية .. وهى المرة الأولى التى تفعل فيها ذلك .. كانت كالعادة جميلة جداً سمجة كحيوان ( الأرماديلو ) .. لكنى رحبت بها ، وأنا أستعيد القصة إلى ذاكرتى من جديد ..

قالت فى شيء من الضيق :

- « تعبت كثيراً حتى وجدت هذا المكتب » اعتذرت

لها بشدة عن عدم استطاعتى وضع مكتبى فى منتصف ميدان ( التحرير ) ، فمن العسير أن يسمحوا لى بذلك ، ثم سألتها فى غلظة عن سبب تشريفها لى ..

قالت وهى تضع ساقاً على ساق ، وتلوك قطعة لادن فى عصبية :

- « إن الجروح تملأ جسدى ، ورأيت أن أخذ رأيك .. »

ثم مدت ساعدها لترينى معصمها الذى امتلأ بالكدمات ..

قلت وأنا أخلع عويناتى لأضع عوينات القراءة : -  
« يبدو أن .. هل قابلت ( صلاح ) مؤخراً ؟! »

تهددت فى صبر كأتما لا تصدق أى حمار هذا ،  
وقالت :

- « ( صلاح ) فى السجن .. ألم تفهم هذا  
من ( نجلاء ) ؟ »

- « إذن ما الذى ؟ .. هذه كدمات يا بنيتى وليست  
مرضاً جلدياً .. لا بد من إصابة ما .. »

- « هذا هو ما أقوله .. إصابة ما ، وهى لم تحدث  
لنى .. »

- « الأمر سهل إذن .. إن كل هذا حدث  
لـ ( نجلاء ) .. أحسبنا تجاوزنا مرحلة الاندهاش

لأمور كهذه .. »

- « لكنها تنكر ! »

قالتها فى كراهية .. فى مقت .. وازدادت سرعة  
فكيها فى مضغ قطعة اللادن مما جعل أصوات

انفجارات عالية تدوى ..

بدأت أهتم بالأمر ، فأتحنيت واستبدلت بعوينات  
القراءة عوينات المسافات لأراها أوضح ، وسألتها :

- « تريدان القول إنها لم تصب بكدمات ؟ »

قالت فى عنف :

- « نعم .. أو بمعنى أدق : لم يصبها أحد بها ..

إن هناك فى جسدى آثار كدمات وحروق كلها فى

أماكن غير ثابتة .. وهذا معناه .. »

اللغنة ! .. إن الأمر يزداد تعقيداً ..

إن الأطباء يعرفون مرضاً نفسياً شهيراً هو

( التمزيق الذاتى ) وكالعادة يطلقون عليه اسماً

عسيراً مثل automutilation وهو منتشر إلى حد ما

بين الإناث ، وهناك مرض آخر هو انتزاع الشعر

الذاتى ، واسمه اللاتينى المرعب فى حد ذاته هو

Trichotellomania .. وهو - كالعادة - منتشر بين

الإناث ، وكل المريضات به ينكرن أنهن يؤذين

شعورهن أو يدمين أجسادهن .. وبالنسبة تكون أكثر

الإصابات فى مواضع تخفيها الثياب حتى لا يتعرض

لأسئلة فضولية ، وكثيراً ما حيزت حالات كهذه أطباء

الأمراض الجلدية الذين يحسبونها مرضاً خطيراً

لا سمح له ..

لماذا يؤذى الإنسان جسده الخاص ؟ إنه نوع من عقاب الذات أو استعذاب الألم يدل على خلل نفسى مربع ..

لماذا - إذن - تؤذى (نجلاء) نفسها ؟ إجابة سهلة جداً : لأن هذا هو السبيل الوحيد لإيذاء (ناهد) ! (ناهد) التى ظل لها طعم مرير فى فم (نجلاء) طيلة هذه الأعوام .. (ناهد) التى ظفرت بكل شيء دون أن تستحقه .. إن (ناهد) يجب أن تتال نصيبها من الأذى ..

لقد استنتجت (ناهد) الأمر بسهولة ودون عناء ، وفى غضب قالت لى :

- « هذه الحمقاء مجنونة تماماً .. يجب أن تمنعوا ، وإلا لا أضمن لحظة ما ستفعله كى تؤذيني .. ربما تلقى بنفسها أمام قطار أو تشعل فى ثيابها النار .. تصور هذا ! إنها تحقد على منذ عرفت معنى الحقد .. »

نظرت لها صامتاً ..

فى الحقيقة لم يكن كل ما قالت هراء إلى هذا الحد ..

لكن هل تفعل (نجلاء) ذلك حقاً ؟

\* \* \*

صاحت (نجلاء) .

- « أقسم بالله العظيم إن هذا لم يحدث ! »  
ثم نهضت مندفعة إلى رف المكتبة على الجدار :  
- « هات لى مصحفاً كى أقسم عليه .. ! »  
نهضت فأعدت المصحف إلى موضعه على الرف ،  
وقلت لها :

- « لا أحب أن تقسى فى أمور تحتمل الكذب أو الخطأ .. كل هواة (تمزيق الذات) ينكرون - أو لا يعرفون - أنهم يفعلون ذلك .. »

قالت وهى تشير إلى ذراعها الملىء بالكدمات :  
- « هى التى فعلت هذا بنفسها وبى .. أنت لا تعرف (ناهد) .. إنها الأنايئة المجسدة والشر المطلق .. حتى ابنتى لأبى كل ليلة حين أتذكر أن هذه هى أختى التوعم .. »

جلست إلى مكتبى ، وخلعت عويناتى ورحت  
أعصر عيني بأتاملى منها ، ثم قلت لها :

- « اسمعى يا (نجلاء) .. إن علاقتكما المعقدة

هذه تحتاج إلى كاتب من وزن ( دستويفسكى )  
الرهيب كى يدرسها .. وبما إنه مات فإننى أقترح  
أن تريا محللا نفسياً يارعا .. أعرف واحداً هو  
د. ( سامى ) لكنه يعيش فى ( الإسكندرية ) .. ربما  
لو .. »

وفتحت عينى فوجدتها قد رحلت ..

## الفصل التاسع : لا أهمية له سوى التطويل

ويمكن لسريعى الملل أن

يبدءوا بالفصل العاشر

كان ( صلاح ) هنجامة ..

و ( هنجامة ) هى لفظة عربية منسية لكنها فصيحة  
جداً ، وتعبّر باختصار عن الشخص الكذوب الخائن  
الجبان اللص المنافق القدر البخيل القاسى الواشى  
المدعى المغرور الجاهل الـ ... باختصار ( هنجامة )  
تعنى من حوى كل نقيصة وخلا من كل فضيلة ..

ولأن ( صلاح ) هنجامة ، فقد غادر السجن لكنه لم  
يغادر عالمه الملىء بالقسوة والاستخفاف بمشاعر  
الآخرين ..

فقط قرر أن ينتظر حتى تسنح فرصة الانتقام ..

\* \* \*

كانت المشكلة هى أن ( ناهد ) لم تعد تغادر الدار ،  
فإن غادرتها كان زوجها معها فى كل خطوة .. وحين  
يذهب زوجها للعمل كانت ( ناهد ) تغلق باب الشقة  
بإحكام ولا تخرج أبداً أو تنظر من نافذة ..

\* \* \*



ومن حين لآخر كان يرى أباهما يدخل البناية ، أو خالها ، أو شقيق زوجها .. لقد تعلم هؤلاء ألا يتركوا ( ناهد ) وحدها أكثر من بضع ساعات كل يوم ..

تدرجياً نسي ( صلاح ) - وهو يجلس في المقهى يدخلن الشيشة ويشرب الشاي ( الكشرى ) - أن عليه أن ينتقم .. صار الأمر أقرب إلى لغز مسأل يتحدى الذكاء من ألغاز مجلة - كيف يؤذى أميرة تحيا في حصن يحيط به الفرسان الأشداء في كل صوب ؟ »

\* \* \*

في ذلك الصباح المشمس جلس في المقهى يراقب مدخل البناية على الجانب الآخر من الشارع كدأبه .. كان قد وضع عوينات سوداء وأطال لحيته في السجن ، كما قصر من شعر رأسه .. لكنه - لمزيد من الضمان - كان يمسك بجريدة يخفى بها وجهه كلما شعر أن هناك من ينظر في اتجاهه ..

رشف رشفة من الشاي ، وسحب نفسين من الدخان :

الآن يستطيع أن يرى الأب والتوعم الآخر - القبيحة - يغادران المبنى. لكنهما لم يكونا وحيدين ،

الآن يرى ( ناهد ) وطفلها على كتفها ، وزوجها ذا العينين الحولوين .. يبدو أن الأسرة كلها ذاهبة لنزهة ، أو ربما لزيارة أم الزوج أو شيء من هذا القبيل ..

بحركة غريزية رفع الجريدة ليخفى وجهه ، ودقق النظر أكثر ..

كانوا يعبرون الشارع وينظرون في اتجاه السيارات ، حين برز صبي على دراجة هوائية .. كان مندفعاً أكثر من اللام فاصطدم بـ ( نجلاء ) بقوة لا بأس بها ، وهي لم تره لأنه كان يسير في عكس الاتجاه .. سقطت أرضاً وصرخت صرخة قصيرة .. هنا لاحظ ظاهرة غريبة بعض الشيء ..

لماذا صرخت ( ناهد ) بدورها ؟ ولماذا مدت يدها لتحسس كتفها ؟ إنه لم ير شيئاً يضربها ، ومن المؤكد أنها تتألم حقاً .. غريب هذا ! ربما ألم الرضيع كتفها بشكل ما .. ولكن يا لها من مصادقة !

استطاع أن يرى الزوج يوبخ الصبي ، ثم يطلق سراحه .. بينما الأب ينحنى على ( نجلاء ) ليرى

ما دهاها حيث جلست على الإفريز تنن .. هو ذا يمد يده إلى كاحلها ليتفحصه .. بدا ألم شديد على ملامحها ..

وانطلقت عينا ( صلاح ) كالرصاصة لتريا ما أصاب ( ناهد ) .. إنها تمسك بكاحلها وعلى وجهها أعتى آيات الألم .. لقد أرغمها الألم على الجلوس بدورها على الأرض والطفل على كتفها ، وببيدها الحررة راحت تدلك ساقها عند المفصل المتنوى ..

ما معنى هذا كله ؟

كان ذكياً ، وكان يتمتع بغريزة الذئب .. لهذا بدأ يفهم ما يحدث ، لكنه لم يصدق .. هذا هراء .. إن المصادقات ..

ولم يكن يتمتع بعقل علمي منظم ، لكنه وضع منهاجاً علمياً لا بأس به لإجراء تجربة كانت ستروق لـ ( ديكارت ) بالتأكيد ..

نادى غلاماً مر به في المقهى .. غلاماً من هؤلاء الحفاة الذين يمشون حاملين قطعة من الورق المقوى صامتين كالقبور .. وهي رسالة صامتة لمن يبغى تلميع حذائه ..

في كف الغلام دس عشرة قروش - وهو مبلغ كان فادحاً وقتها - وفي أذنه همس ببضع كلمات ، شفيعها بصفعة على ظهره وصيحة :

- « حمامة يا له ! أسرع قبل أن يتعدوا ! »

ولم يكذب الغلام خبيراً ..

عبر الشارع ركضاً ، ثم مضى بهرول فوق الإفريز حتى وصل إلى ( ناهد ) التي كانت قد استطاعت التحامل على نفسها فالوقوف ..

وفجأة - قبل أن تفهم ما حدث - كان الغلام قد داس على قدمها بقدمه الخشنة الغليظة ، وواصل هرولته مبتعداً ..

من جديد تأوهت وقالت شيئاً ما عن تلك البهائم التي لا ترى أمامها ، وفي اللحظة ذاتها تأوهت ( نجلاء ) من جديد ونظرت إلى قدمها ..

ثم ابتهت - ( نجلاء ) - تحاملت على نفسها لتنهض مستندة إلى الأب وزوج شقيقتها ، وببطء بدأت تمسح .. ثمّة عرج بسيط لكنها تمسح على كل

حال .. وراح الأربعة يتعدون عن المشهد ..

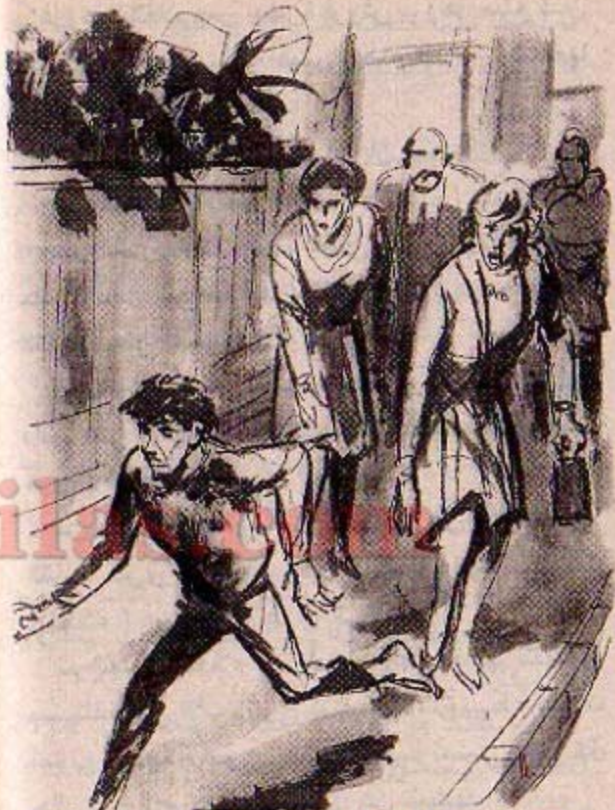
وفي مقعده حيث جلس يرمى كل هذا ، والجريدة

تدارى وجهه نوعاً ، أدرك ( صلاح ) أن يومه لم  
يضع سدى ..

إن لهذا الذى رآه معنى خطيراً ..  
إن نفعه لمؤكد ، وإن كان تفسيره عسيراً على  
الأفهام .. لا يهم !  
الخاسرون فقط هم من يبالون بالتفسيرات ..

\*\*\*

بالطبع لم أعرف شيئاً من كل هذا ، لأن ( نجلاء )  
و ( ناهد ) قررتا أن تحرمانى من أسرارهما اللطيفة ،  
ومن كونى المستشار الصحى المجانى لهما .. لا بد  
أننى أبديت تبرماً واضحاً فى المرة الأخيرة ..  
وهكذا غرقت فى التفاصيل الهادئة لحياتى .. مثل  
الوباء الغامض الذى بدأ يحيل القوم إلى مسوخ فى  
تلك القرية الفرنسية ، والمومياء التى تغير مكاتها  
ليلاً فى المتحف المصرى .. إلخ .. ذكرونى أن أحكى  
عن هذه القطع الرائعة فى مناسبة أخرى ..  
أما الآن فيمكن القول إن شهرين مرّاً دون أن  
أسمع خبراً عن تلك الأسرة ، وأكون كاذباً لو قلت إن  
هذا ضايقتنى .



من جديد تأومت وقالت شيئاً ما عن تلك البهائم التى لا ترى أمامها ،  
وفى اللحظة ذاتها تأومت (نجلاء) من جديد ونظرت إلى قدمها ..

إنني أمقت العلاقات النفسية المعقدة وأشمئز منها ،  
لهذا لا أرتاح كثيراً للكراهية المتبادلة بين الشقيقتين ،  
تلك الكراهية التي تحمل قدراً لا بأس به من الحسد  
والغيرة ، وتتوارى وراء ابتسامات معسولة .. إن  
( نجلاء ) تغار من جمال ( ناهد ) و ( ناهد ) تغار  
من عقل ( نجلاء ) ، فهي - برغم جمالها الصارخ -  
تشعر بأنها لم تزد على عصفور جميل الشكل فارغ  
الرأس ، افتتاه زوجها في داره .. ولعلها كانت  
تتمنى حقاً لو ذهبت إلى الجامعة ، وحملت كراس  
محاضرات ، وأمضت ساعات المساء في استذكار  
كثير .. يوماً ما ستكون ( نجلاء ) محامية  
وسيطفون عليها لقب ( الأستاذة ) ، بينما ينزوي  
جمال ( ناهد ) فلا يبقى منه سوى عجوز جاهلة  
خاوية العقل ..

لم أشعر - وأنت توافقتي - باستمتاع كبير  
إذ أتورط في كل هذه المشاعر السوداء القادمة من  
أغوار روايات ( دستوفسكي ) ، كما لم أحمس كثيراً  
لموضوع (صلاح) الذي يصفع الأمهات في الأسواق ،  
ويزور حبيبته أمام زوجها فلا يخفي حبه لحظة .. كل

هذا يؤثر هلعي ويجعلني أنكمش أكثر فأكثر .. وأتذكر  
كلمات المطرب الإنجليزي ( كات ستيفنز ) :  
- « أه يا صغيرتي إنه لعالم متوحش ..  
من العسير أن تحتفظي بابتسامتك فيه ..  
فإذا صممت على الرحيل تذكرى أن تأخذي  
حذرك ..

فهو عالم متوحش لا يرحم .. وأنت مجرد طفلة ..»  
لقد قالها ( كات ستيفنز ) ثم اعتنق الإسلام ،  
وصار اسمه الشيخ ( يوسف إسلام ) ؛ من أهم قادة  
الدعوة الدينية في ( لندن ) .. ويبدو أنه لم يجد مفراً  
من هذا العالم المتوحش إلا في الدين (\*) ..  
حتماً إنه لعالم متوحش يا صغيرتي ..

\*\*\*

في ذلك اليوم فتحت باب شقتي في العاشرة  
مساءً ، لأسمع جرس الهاتف لا يكف عن العواء  
والصراخ ..

(\*) حقيقة .

غريب أن اللهفة والذعر يظهران في جرس الهاتف  
أحياناً ..

هرعت لأرد في الظلام ، وطبعاً اصطدمت بمقعدين  
حطماً ساقى ، كما سقطت المزهرية كعادتها منذ عشر  
سنوات ، وبرغم هذا لا تتهشم أبداً لتريحنى منها ..  
أخيراً وجدت السماعرة فرفعتها ، وبحق صحت :  
« ماذا تريد ؟ »

« أنا د . ( محمد ) يا ( رفعت ) .. د . ( محمد )  
شاهين ) .. »

« هذا لم يجب على سؤالى بعد .. »

« إن ( نجلاء ) لم تعد من المكتب بعد .. »  
شرحت له فى صبر أننى لست مسئولاً عن مواعيد  
ذهابها وإيابها ، إلا إذا كنت زوجها ، أو سائق  
سيارتها الخاصة ، أو سائق حافلة المدرسة ،  
أو - لا سمح الله - كان لى سجل مشهود لخطف  
الفتيات ..

« لكنها مريضتك »

« ما دامت ليست مصابة بسرطان الدم ، فالأمر

لا يخصنى »

قال فى رصاة من يحاول تمالك أعصابه كى  
لا ينفجر فى :

« ( رفعت ) .. أنا أحدثك كصديق .. هل تجد من  
الطبيعى أن تتأخر ابنة أختك حتى العاشرة مساءً ،  
وهى لم تتأخر قط بعد الثالثة فى أى يوم ؟ وهم  
لا يعرفون شيئاً عنها فى المكتب » .

« كلهن يفعلن ذلك ، ثم يعدن للدار دون أن  
يمتن ، وهى شجاعة أدبية حقيقية .. لو كنت مكاتبها  
لمت » .

ثم - قبل أن ينفجر فى - صحت :

« اسمع .. هل طلبتم صديقاتها ؟ »

« كلهن فى ديارهن معززات مكرمات »

« وهل لها خياط أو مصفف شعر ؟ لا بد من  
واحد .. »

« إلا هى .. إنها تفعل كل هذا فى البيت .. »

« وماذا عن الأقسام والمستشفيات ؟ »

« لقد فعلت هذا وأكثر .. أتحيسبى كنت أمزح

منذ الخامسة ؟ »

هنا وجدت أن أفضل ما أفعله هو أن ألحق به ..

- « هل هي خائفة ؟ »  
 - « لا .. وإن هذا لغريب ... »  
 ابتلعت ريقى وسألتهما السؤال الأخير :  
 - « هل هي حية ؟ »

\* \* \*

أمقت هذه الدواعى التى أترك البيت بسببها ..  
 لو كان فى نزولى فى ساعة كهذه بعض نفع للفتاة  
 لفعلت ، لكن الأمر هو نوع من الاستنزاف  
 العاطفى لى .. لماذا أجلس فى دارى مستريحاً ما دام  
 من الممكن أن أتعب ؟ حتى ولو كان تعبى بلا  
 جدوى ..

\* \* \*

ويمكنك بوصفك رجلاً ذا خيال أن تتصور منظر  
 الأسرة من الطبقة المتوسطة إذ جلست على جمر ،  
 بانتظار خير أى خبر ..

كانت ( ناهد ) هناك وزوجها وطفلهما الذى يعوى  
 كالذئب جاعلاً الأمر جحيماً بما يشيعه من توتر ..  
 والأم لا تكف عن البكاء والارتجاف ، والأب هو  
 متوفٍ ينتظر فقط أن نعلن أنه كذلك ..  
 قلت وأنا أتأمل ( ناهد ) فى تمعن :  
 - « أعتقد - وأنتم توافقوننى - أن ( نجلاء ) لم  
 تمس بأذى حتى هذه اللحظة » .  
 قالت مؤيدة رأبى :

- « هذا أكيد .. لا أشعر بأذى ألم .. »

## الفصل العاشر: وهو مهم حقاً.. لكن

لا يمكن فهمه دون

قراءة ما سبق

ومن قال إن التطابق الشعوري بين توعمين ، يجب أن يكون مطلقاً ، ولا ينتهي في لحظة بعينها ؟ من قال إنه يجب أن ينتهي بموت التوعمين في لحظة واحدة ؟ إن انتهاء الترابط الشعوري بين الأختين - في حالتنا هذه - قد يعنى موت واحدة منهما ..

يقول الإنجليز : إن عدم وجود أخبار هو خبر طيب .. أى إنه لا توجد أخبار سيئة على الأقل .. وهو قول آخر من تلك الأقوال الشهيرة التى تبدو للوهلة الأولى حكيمة ثم يتضح أنها ساذجة .. تحيل مثلاً انقطاع أخبار أخيك فى الحرب أو أبيك المسافر .. أحياناً يكون انقطاع الأخبار خبراً سيئاً فى حد ذاته ..

★ ★ ★

وهكذا ظللنا جالسين فى صمت لا تتقصنا سوى

أقداح القهوة السادة ، وصوت المقرئ لتكون فى سرادق عزاء ..

نهض ( محمود ) فى عصبية وراح يذرع الغرفة جينة وذهاباً ، ثم وقف وصاح :

- « إن هذا كله يحطم الأعصاب .. لو كانت مخطوفة فليقولوا هذا ويخلصونا .. ولو كانت ميتة .. »  
توقعت أن تلومه ( ناهد ) لكنها لم تفعل .. هى فقط تكره الكلام عن موتها هى .. لهذا واصل الكلام ..  
- « فليتصلوا بنا لندفنها ! »

فى اللحظة التالية تراجع رأس ( ناهد ) للوراء .. أكاد أقسم أن شفيتها قد ازورقتا .. وراح صدرها يغلو ويهبط ككباس قطار بخارى .. مدت يدها إلى عتقها كأنما تطلب الهواء ، وراحت تحدث أصوات شهبوق وزفير متواصلة .. كانت فى حالة ( انعدام الحيلة ) الشهيرة ..

وصاح ( محمود ) فى ذعر وهو يحدق بعينيه الحولابين فيها :

- « د . ( رفعت ) ! ماذا يحدث لها ؟ »

- « إنها .. تختنق ! »

- « ولماذا لا تفعل شيئاً ؟ »

- « لا يوجد سبب لهذا .. إن ( ناهد ) تعكس ما تمر به ( نجلاء ) الآن .. إن ( نجلاء ) فى مكان ما تواجه خطر الغرق ! »  
- « يا للكارثة !! »

وجئنا على ركبتيه جوارها ، وهو يتمنى أن يفعل شيئاً لكنه لم يجرو حتى على لمسها .. فقط راح ينظر لى طالباً العون ثم لها متوسلاً ..

أخيراً بدأت تسترد لونها الطبيعى ، وهدأت نوعاً .. واستطاعت أن تتحكم فى جلستها على الأريكة .. لقد نجت ( نجلاء ) .. هذا واضح ..

الآن وقد اطمأنتت إلى أن الصلة الشعورية لم تنقطع ، صرت أكثر اطمئناناً إلى أن ( نجلاء ) حية ترزق .. هى - فقط - تعانى ، ومعاناتها تتضمن الغرق على كل حال ..

- « ماذا تظنه يحدث للأخرى ؟ »

- « لا أدرى .. حقاً لا أدرى .. »

\* \* \*

فى الرابعة صباحاً ، عدت إلى شقتى .. وكنت



مدت يدها إلى عنقها كأنما تطلب الهواء ، وراحت تحدث أصوات شهيق وزفير متواصلة ..



أعرف أن النوم لن يجيء ، فهو كالحظ يجيء مرة واحدة فإن تجاهلته فيها لا يجيء ثانية .. وعلامات الشيخوخة التي حلت بي كان أولها ظاهرة ( الاستيقاظ قبل الأوان ) المميزة للشيخوخة .. بحثت في مكتبتى عن رواية ( الأخوان الكورسيكيان ) للكاتب الأشهر ( ألكسندر دوما ) .. وكتبها عام ١٨٦٦ .  
وكان صوت أذان الفجر الأول يتردد من بعيد ، حين بحثت وسط الصفحات عن فقرة المبارزة .. ها هي ذى ..

( لوى ) - التوعم الأول - يقف فى ضاحية  
ب ( باريس ) ، ويده على زناد المسدس وأمامه خصم عتيق .. إنها مبارزة لرد الشرف من التى يزخر بها أدب ( دوما ) .. تنطلق الرصاصة الأولى لتستقر فى جسد ( لوى ) ..

فى اللحظة التالية يشعر ( نوسيان ) - التوعم الثانى - الذى يمتطى سهوة جواده فى ( كورسيكا ) بألم قظيع فى صدره فوق الضلع السادس ، ثم يخترق الألم صدره ليخرج من مفصل فخذه .. ذات مكان إصابة ( لوى ) ..

لقد كان ( دوما ) بحسن الفنان المرهف يصف بالضبط ما نحن بصدده هنا ..

بعد هذا بأعوام عدة ، وبالتحديد فى عام ١٩٧٧ فى المؤتمر الثانى لدراسات التوائم فى ( واشنطن ) ، أعلن المؤتمر ما يلى :

- لو اتقسمت، البويضة الملقحة خلال الأيام العشرة الأولى من التلقيح فلا ينتظر أن يولد كل توعم بمشيمة منفصلة .

- « لو حدث الانقسام بعد الأيام العشرة الأولى ، يجيء توعمان متطابقان لهما ذات الشبيه ، واكن أحدهما صورة مرآة للآخر .. أحدهما أيمن والآخر أشول .. أو اتجاه الشعر فى أحدهما لليمين والآخر لليسار ..

- « لو حدث الانقسام بعد اليوم الثالث عشر يجيء التوعم السيامى الرهيب ، حين يشترك التوعمان فى قلب أو كبد أو صدر واحد .. والأمثلة على هذا شهيرة ومعروفة فى كتب العجائب وكتب الطب .

- « لو جاء التوعمان من بويضتين منفصلتين فلن

يكون بينهما تشابه .. وهو ما يسمونه بـ ( التوعم  
غير المتماثل ) أو Fraternal twins .

\*\*\*

واحدة من كل تسعين ولادة تأتي بتوعمين .. وربيع  
هؤلاء التوائم يكونون متطابقين .. إن ( نجلاء )  
و ( ناهد ) جاءتا من بويضتين منفصلتين ، لهذا هما  
توعمان غير متماثلين ، لكن من الواضح أنهما  
احتفظتا بصنتهما الحيوية المتعلقة بالإحساس بالألم ..  
إن دراسات الدكتور ( لويس كيث ) من كلية الطب  
جامعة ( نورث وسترن ) بـ ( إلينوى ) تعتمد اعتمادا  
كبيراً على دراسات أستاذ آخر إيطالي هو ( لويجي  
جيدا ) ، ولقد قام هذا الأخير بدراسة ١٥ ألف توعم  
منذ عام ١٩٥٣ حتى الآن ، وقد توصل الاثنان في  
النهاية إلى أن علاقات التوائم الذهنية تتباين في  
مراتبها ..

في أدنى المراتب يأتي الدافع المشترك : حين  
يرغب توعم في الاتصال بأخيه لمجرد أن أخاه يرغب  
في نفس الشيء في الوقت ذاته .  
في مرتبة أعلى يأتي التخاطر الذهني وتوارد

الخواطر .. إن التوعم يفكر في ذات الأشياء التي يفكر  
فيها أخوه ..

أما أعلى المراتب - كما يقول ( لويس كيث ) - فهي  
الاشتراك في الألم في الموضع ذاته والوقت ذاته ..  
هناك نظرية مهمة طرحها ( لويجي جيداً ) بعد  
دراساته المضنية على التوائم ، وهي نظرية ( ساعة  
الحياة ) .. أي الساعة الحيوية التي تتحكم في أقدار  
التوائم .. إنهم يمرضون معاً ويتألمون معاً وكثيراً ما  
يموتون في اللحظة ذاتها .. لم يكن لهذا تفسير  
واضح في ذلك الوقت ، لكن الطب الحديث - طب  
التسعينات - عرف كثيراً جداً عن ( الجينات ) ،  
وعرف أننا نحمل مصانرنا وأمراضنا محددة مرسومة  
في الصبغيات الموجودة بخلايانا ..

ولما كان التوعمان يشتركان في الصبغيات ، كان  
من الطبيعي أن يشتركا في المصانر والأمراض  
والساعات الحيوية ..

كنت غارقاً في هذه الخواطر حين سمعت أذان  
الفجر .. سأصلي وأنام ، وعسى ألا .. لم لا أنتزع

فيشدة الهاتف أصلاً؟ إن الأمر خطير لكنى أشعر  
بحاجة أكثر خطراً للنوم ..

\*\*\*

كما توقعت بالضبط ذهبت إلى الكلية لأجد ( محمد  
شاهين ) ينتظرني ، وكان العرق يبيل صلته و عنقه ..  
واضح أنه قضى أسوأ ليلة منذ ليلة زفافه ،  
وهتف بمجرد أن رأتني :

- « أين كنت يا أستاذ؟ إن هاتفك هذا .. »

فشرحت له في صبر أنني كنت نائماً كجثة ، وكان  
عليه أن يجيء لداري ليوسع الباب ركلاً لو كان  
متحمساً إلى هذا الحد ..  
- « لم أستطع المجيء لأن الساعة كانت الخامسة  
صباحاً ، وليست عندي سيارة .. لقد بدأت الآلام ! »  
- « ( ناهد ) تتألم ! »

- « وياتنظام » - قال وعيناه تتسعان رعباً -  
« .. لقد ذقت كل شيء من الدبابيس تحت الأظفار  
إلى حروق السجائر في شحمة الأذن إلى الصفعات .. »  
وارتجف هلعاً وأخرج مندبته ( المحلاوي ) العملاق  
الذي يصلح كفننا له ، فجفف العرق على عنقه وقال :

- « ( رفعت ) .. هناك من يعذب ( نجلاء )

بمنتهى الوحشية في هذه اللحظات .. »

جلست شاعراً بخطورة الموقف .. لم أدر ما أقول ..  
لماذا لا يصدق هؤلاء الحمقى أنني لا أمك أدنى فكرة  
عما ينبغي قوله أو عمله ؟

- « وفي رأيك من يفعل هذا ؟ »

- « لا أدرى .. »

وساد الصمت هنيهة ، بعدها قلت في شروود :

- « حاول خنقها بإغراقها في الماء .. كان يمكنه  
التمادي لكنه كان يهدف إلى التعذيب لا أكثر .. بعد  
هذا استعمل أسلوب الدبابيس والحرق بالسجائر .. هل  
لدى ( نجلاء ) من يكرهها لهذا الحد ؟ »

- « إنها كما رأيت .. لا تملك شراً ولا نجاحاً ..  
فلا أعداء »

فكرت قليلاً .. لن أستبعد أن تكون الفتاة في مكان  
ما تتسلى بتعذيب نفسها عالمة أنها تؤذي أختها  
باستمرار .. إن علاقة الأختين معقدة جداً وتحتتمل  
الكثير ..

\*\*\*

وفى المساء ازداد الأمر سوءاً ..

كانت ( ناهد ) تصرخ باستمرار بلا كلل .. وراحت تجذب ساقبها من تحت الملاءة فى اشمزاز ، كما تفعل المرأة حين ترى فأراً أو سحلية تؤشك على الجرى فوق جلدها .. كان أداء جيداً من (الباتتومايم) ، وأدركت دون جهد أن هذا ما تمر به ( نجلاء ) الآن .. سألتى الزوج الملهوف وهو يحتضنها مهدناً ..

« ماذا يحدث ؟ إنها لا تتحمل الملاءة على

قدميها »

« كما ترى .. أعتقد أن من يعذب ( نجلاء )

يستخدم الفئران الحية الآن ..

إنه لواسع الخيال حقاً .. »

بالطبع لم نتصور لحظة أن من يعذب ( نجلاء ) يفعل هذا ليعذب ( ناهد ) .. إن الأمر واضح لك لأنك تتابع هذا كله من مقعد علوى يستوعب ويشمل كل التفاصيل .. أشبه بمن يراقب تخبيط النملة فى متاهة تبحث عن فتحة الخروج منها ، أما نحن فقد كان الأمر مبهما بالنسبة لنا ولم نر الأمور بهذا الوضوح قط .

قال لى (محمود) وهو يعصر طفله الصارخ ليخرسه:

« هل يمكننا استخدام هذا الشعور المشترك

بينهما فى العثور على الأخرى ؟ »

« هذا ما أفكر فيه .. »

وجلست على طرف الفراش ، وانتظرت حتى هدأت نوعاً ثم سألتها :

« ( ناهد ) .. أغمضى عينيك وفكرى جيداً .. »

نظرت لى فى شك .. ثم فعلت كما قلت ..

« هل تشعرين أو تشمين شيئاً ؟ هل تسمعين

شيئاً ؟ »

كان هذا ينجح فى القصص دائماً .. ستشم رائحة

ياسمين وتسمع صوت طائرة وصوت قطار .. وتسمع

قطرات ماء على النافذة .. عندها نستنتج أنها

( نجلاء ) - سجينه فى كوخ جوار حقل ياسمين

قرب مطار وقضيب سلك حديدية ، وبالطبع هناك

ماسورة مياه أو ميزاب جوار النافذة .. هذا ينجح

فى القصص لكنه لا ينجح فى الواقع أبداً .. فالفئة

- ببساطة - لا تشعر ولا تسمع أو تشم شيئاً ..

« لن يصلح هذا .. »

قالها د. ( محمد ) فى ذكاء ، فنظرت له بغل ..

ليتة لا يتحفى باستنتاجاته العبقريه هذه لدقائق ..

قلت لها من جديد :

- « حاولي أن تركزي .. سنظفي النور ونغادر  
الحجرة .. فكري في الكلمة التي تتردد الآن في ذهن  
( نجلاء ) .. فكري .. فكري .. »  
قلت هذا وأنا أجدب الرجلين خارجا من الحجرة ببطء ..  
وجلسنا من جديد على الأريكة التي كستها سجادة  
الصلاة ، وكانت الأم قد أعدت لنا بعض الشاي  
كالعادة .. أما الأب فكان في الفراش يمارس كل مهام  
الجنّة كدأبه منذ اختفت ( نجلاء ) ..

قال ( محمود ) :

- « لقد أبلغنا الشرطة هذا الصباح .. »  
- « هذا جيد .. لكن لا بد من خيط يبدءون منه »  
ثم رحلت أقلب أفكاري كما يقلب الفأس الأرض بعد  
زراعة البطاطس .. طبقات أخرى لم تختر لي بيال تظهر ..  
من خطف ( نجلاء ) - وهي غالبا مخطوفة -  
- لا يريد موتها .. يريد عذابها .. لا توجد طريقة  
عقلية ما للبحث عن ( نجلاء ) ..  
وفجأة صحت في حماسة حتى انسكب الشاي من  
يدى على الأريكة كعادتي .  
- « انتظر ! .. لدى فكرة .. فكرة عبقرية ! »

- « أهنك .. » قال د. ( محمد ) .

ونهدت مسرعا إلى الحجرة ، وأنا أردد :  
- « سنجد ( نجلاء ) .. وسنجدها بسهولة ! »  
- « ولكن هلا شرحت لنا ما .. »  
مددت يدي إلى المقبض لأفّتحه ، حين سمعت  
صرخة ( ناهد ) تتردد في أرجاء الغرفة الموصدة :  
- « صلاااح ! »

\* \* \*

هنا أجدني مضطرا للتوقف لأن لساني قد أرقه  
البرد ، وضوء الفجر يتسلل من خصائص النافذة ..  
أريد أن أنام ..  
وماذا حدث بعدها ؟ بالطبع سأحكي ذلك  
بالتفصيل .. المفروض أن نعرف في الجلسة القادمة  
ما حدث للتوعمتين .. ونعرف كيف وجدت ( نجلاء )  
بفكرتي العبقرية .. ونعرف ما حدث لـ ( صلاح )  
هذا ..  
انتظرنى فإني عائد كالعادة بتكملة هذه  
القصة ، ما لم أمت طبعا وهو احتمال وارد ..

لكنى أحسبكم ستتضايقون لموتى أكثر من ضيقكم  
بقصة غير مكتملة .. ولسوف يشفع لى هذا  
بعض الشيء ..  
فالى لقاء .....

د. رفعت إسماعيل

القاهرة

★ ★ ★

[www.liilas.com/vb3](http://www.liilas.com/vb3)

^RAYAHEEN^

مع تحيات منتدى ليلاس